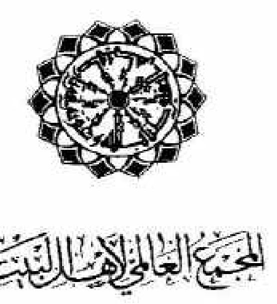


آية التطهير

تأليف الأستاذ العلامة
الشيخ محمد مهدي الآصفي



محمد مهدي الآصفي



بالتعاون مع رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية

الكتاب :	آية التطهير
المؤلف :	محمد مهدي الآصفي
الناشر :	المجمع العالمي لأهل البيت(ع) ـ قم
المطبعة :	امير
الطبعة :	الاولى
سنة الطبع :	١٩٩٦م / ١٤١٧هـ
الكمية :	٣٠٠٠

قم، ص. ب ٨٣٧ ـ ٣٧١٨٥، ت ٧٤٠٧٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرِّجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيراً﴾.



المقـدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(آية التطهير) المباركة مفتاح لفهم الكثير من المسائل في الفكر والثقافة الاسلامية.

ومن هذه الآية المباركة نستطيع أن ننطلق في تحديد وتشخيص الخط الفكري للاسلام في الأصول والفروع بعد وفاة رسول اللّه(ص).

ونـظرا لأهمية هذه الآية الكـريمـة، ودورهـا في توضيح هذه المسألة الحسـاسـة والخطيرة في الاسلام، فقد حاولت أن أفرد هذه الآية الكريمة بدراسة توخّيت فيها الايجاز والتركيز قدر الامكان. أسأل الله تعالى فيها أن يهديني سواء السبيل، وأن يجعلها نافعة ومفيدة في أداء هذه المهمة.

محمد مهدي الآصفي

المدخل الى آية التطهير

بعد الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر، لا يواجه المسلم سؤالاً يتعلّق بدينه أهم من معرفة المصدر الذي يستقي منه دين اللّه في أصوله وأحكامه.

فأن اللّه تعالى كلّف عباده بامتثال أحكامه، ووضع لهم أسساً وقوانين وتفاصيل للحرام والحلال، ولم يعد هناك شيء إلاّ وللّه فيه حكم محدد من وجوب أو حرمة أو كراهة أو استحباب أو اباحة.

ولا بدّ من أن يستند المسلم في امتثال أحكام اللّه تعالى في عباداته ومعاملاته وسائر ما يتعلّق بالدين من أخلاق وعقائد على مصدر يعتمده ويثق بانتسابه الى اللّه تعالى. ولا يكتسب أي حكم من الأحكام الشرعية صفة الشرعية والانتساب الى اللّه تعالى، مالم يكن مستنداً الى مصدر موثوق من مصادر الشريعة، قد عيّنه اللّه تعالى لعباده.

وفي أغلب الأحوال يؤول الإختلاف في المذاهب والآراء في الفقه والعقائد الى الإختلاف في المصادر التي يعتمدها العلماء في معرفة دين اللّه تعالى.

وعليه فإنّ التأكّد من مصادر التشريع تأتي بعد مسألة التوحيد والرسالة على رأس اهتمامات ومسؤوليات الإنسان المسلم. فهو يحاسب ويسأل عن كلّ فعل فعله باسم الدين، وأي حكم ينسبه الى دين اللّه، وعن كل عمل وموقف وقفه باسم الدين. عن المصدر الذي كان يعتمده، وعن حدود تأكّده ويقينه

باستناد هذا المصدر الى اللّه تعالى.

وانطلاقاً من هذه الأهمية التي تحوزها مصادر التشريع نود أن نلقي في هذه الدراسة نظرة على مسألة مصادر التشريع بعد وفاة رسول اللّه(ص).

السنّة النبويّة

المصدر الأول لأحكام الله تعالى فيما بين المسلمين هو القرآن الكريم، من دون شك.

والمصدر الثاني الذي يأتي بعد القرآن هو السنّة النبويّة، من دون شك أيضاً، وهو فعله وحديثه وتقريره (ص). وتأتي السنّة في المرتبة الثانية بعد كتاب الله عزّ شأنه.

وفي السنّة تفصيل لما أجمله القرآن، وشرح لمتشابهه، وأحكام ليس لها ذكر في القرآن الكريم، تشرحها السنّة وتفصلها.

وقد ظهر في التاريخ الاسلامي اتجاه يدعو الى الاستغناء عن السنّة النبويّة، كمصدر للتشريع، واعتبارها من اجتهاد النبي(ص) الخاص. إلاّ أنّ هذا الاتجاه لم يدم طويلاً، رغم قدم هذا الاتجاه، واستمرار بعض خيوطه الى الوقت الحاضر. واستقر المسلمون على العمل بالسنّة النبويّة واعتمادها كمصدر أساسي للتشريع ولفهم الاسلام.

ولسنا نحن فعلاً بصدد استعراض هذه المسألة ومناقشتها. فقد كفانا ذلك إستقرار المسلمين على العمل بالسنّة والإعتماد عليها كمصدر أساسي أصيل للاسلام.



ثلاثة أسئلة حول السنّة النبويّة

لعلّ من نافلة القول أن نقول أنّ المسلمين واجهوا عقبات كثيرة في الطريق الى السنّة النبويّة. وأنّ طريق الوصول الى أحاديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسنته كان محفوفاً بالكثير من المشاكل والعقبات التي كانت تحول بين المسلمين وبين أن يلتقوا بحديث نبيّهم(ص) ويأخذوا عنه معالم دينهم وأحكامه في اجماله وتفصيله بصورة دقيقة وكاملة.

ولعلّ هذه العقبات كانت من أهم المشاكل التي عانى منها علماء المسلمين، وعانت منها الثقافة الاسلامية في الفقه والعقائد والأخلاق والتفسير. ولو أنّ السبيل الى حديث رسول اللّه(ص) كان ميسرا لما حدث ما حدث للمسلمين من اختلاف في المذاهب والمسالك في الأصول والفروع، ولما حدث الكثير من الانحرافات التي حدثت في تاريخ الاسلام في الثقافة الاسلامية والتي كانت مصدراً للكثير من مصائب المسلمين في تاريخهم.

وفيما يلي نريد أن نطرح ثلاثة أسئلة حول هذا الحوار بالذات:

أوّلاً: ماهي الأسباب التي جعلت الوصول الى السنّة النبويّة أمراً صعباً وعسيراً في كثير من الأحوال؟.

ثانياً: كيف ذلّل علماء المسلمين وفقهاؤهم الطريق الى الحكم الشرعي عبر هذا الطريق الطويل والعقبات التي تحول بينهم وبين السنّة النبويّة.

فإنّ الحاجة الى الحكم الشرعي حاجة قائمة في حياة المسلمين، والحكم

الشرعي يجب أن يعتمد مصدراً ودليلاً وحجّة بيّنة. وما لم يعتمد الفقيه مصدراً شرعياً، وحجّة قطعية، فلا يستطيع أن يجزم بالحكم الشرعي. فإذا كان الفقهاء لا يجدون الحكم في القرآن، ولم يتيسّر لهم السبيل الى السنّة النبويّة، فكيف كانوا يهتدون الى الحكم الشرعي؟ ومن أي مصدر كانوا يأخذون الحكم الشرعي؟.

وبتعبير آخر كيف كان الفقهاء يواجهون هذه المشكلة في طريق استخراج الحكم الشرعي.

وثالثاً: وبغض النظر عن الطريقة التي اعتمدها الفقهاء في استخراج الحكم الشرعي، ماهو العلاج الذي وضعه الاسلام لهذه الحالة؟ وهي حالة متوقعة ومترقّبة ومعقولة. وهل فتح الاسلام طريقاً الى السنّة النبويّة للفقهاء والعلماء عبر هذه الفواصل الزمنية الطويلة التي تفصلنا عن حياة رسول اللّه(ص)، وعبر العقبات الكثيرة التي تحول بيننا وبين الوصول الى السنّة النبويّة؟ وإذا كان فما هو هذا الطريق؟

تلك هي الأسئلة الثلاثة الحسّاسة التي نود أن نطرحها للاجابة، ونحاول الاجابة عليها. والاجابة على هذه الأسئلة تشكّل ـ في دراستنا هذه ـ المدخل الى دراسة آية التطهير المباركة.

١ـ عقبات في الطريق إلى السنّة النبويّة:

وهذه العقبات كثيرة وسوف نشرح أهم مفرداتها التي توضّح الأسباب التي أدّت الى صعوبة تناول سنّة رسول اللّه(ص) للأجيال التي توالت بعد صدر الاسلام الأول من بعد وفاة رسول اللّه(ص).

ومهما شككنا في شيء من أمر هذه المفردات التي سوف نشرحها، فانّنا

لانستطيع أن نشك في النتيجة التي تؤدي اليها هذه المفردات، وهي صعوبة الطريق الى السنّة النبويّة فيما عدى مساحة محدودة جداً من الروايات الصحيحة القطعية المروية عن رسول اللّه(ص). وهي مساحة محدودة جداً بالنسبة الى السنّة النبويّة.

وفيما يلي نشير الى بعض هذه المفردات التي حالت بين المسلمين وبين سنّة نبيهم(ص).

أ) عدم اهتمام الصحابة بضبط الحديث:

لم يكن للأصحاب اهتمام كبير بضبط حديث رسول اللّه(ص) وسنته بصورة دقيقة ممّا أدّى الى ضياع كثير من معالم السنّة النبويّة بعد وفاة رسول اللّه(ص)، أو اختلافهم فيها في أشياء ظاهرة من حياة رسول اللّه(ص) لم تكن تخفى عليهم لو أنّهم كانوا يعطونها شيئاً من اهتمامهم في حياة رسول اللّه(ص)[1].

---

(١) وقد كان رسول اللّه (ص) يطلب من أصحابه تدوين السنة والحديث وإبلاغ من لم يحضر الحديث به. ففي خطبة رسول اللّه (ص) المعروفة بمسجد خيف قال (ص): (نضر اللّه عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم أدّاها إلى من لم يسمعها، فربّ حامل فقه لا فقه له، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه) ـ مستدرك الحاكم (ج١/ص ٨٧).

وعن رسول اللّه (ص): (تسمعون ويسمع منكم، ويسمع من الذين منكم)ـ مستدرك الحاكم (ج١/ص ٩٥).

وقد كان عبداللّه بن عمرو يكتب عن رسول اللّه (ص)، فقال: (يارسول اللّه أكتب ما أسمع منك. قال: نعم. قلت: عند الغضب وعند الرضا. قال: نعم، إنّه لا ينبغي لي أن أقول إلاّ حقّاً)ـ مستدرك الحاكم (ج١/ص ١٠٥).

ونهت قريش عبداللّه بن عمرو أن يكتب عن رسول اللّه (ص)، فأمسك عبداللّه، يقول: فذكرت ذلك لرسول اللّه (ص)، فقال: (اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلاّ حقّاً، وأشار بيده إلى فيه)ـ مستدرك الحاكم (ج١/ص ١٠٦).

وأمثلة ذلك كثيرة في تاريخ الصحابة، فقد نسي عمر بن الخطاب ما كان يقرؤه رسول الله(ص) في صلاة العدين مثلاً، وكان يسأل عمّا ينبغي قراءته في صلاة العيدين من القرآن.

يقول عبيد الله: (خرج عمر رضى الله عنه يوم عيد، فأرسل الى أبي واقد الليثي: بأي شيء كان النبي(ص) يقرأ في مثل هذا اليوم، فقال بقاف، واقتربت)[2].

وروى مسلم في الصحيح عن عبدالرحمن بن بزي عن أبيه: (أنّ رجلاً أتى عمر فقال: إنّي أجنبت فلم أجد ماءً، فقال: لا تصلِّ، فقال عمّار: أما تذكر ياأمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا، فلم نجد ماءً فأمّا أنت فلم تصلِّ. وأمّا أنا فتمعّكت بالتراب وصلّيت، فقال النبي(ص): إنّما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض ثم تنفخ، ثم تمسح بها وجهك وكفّيك، فقال عمر: اتّق الله ياعمّار، قال: إن شئت لم أحدّث به)[3].

والشواهد على ذلك كثيرة لسنا بصدد استقصائها والتوسّع فيها، وهي تدلّ من دون شك على أنّ أصحاب رسول الله(ص) لم يكونوا معنيين بحفظ

وعن عبدالله بن عمرو، عن رسول الله (ص) قال: (قيّدوا العلم. قلت: وما تقييده. قال: كتابته)ـ مستدرك الحاكم (ج١/ص ١٠٦).

(٢) الغدير/ (ج٦/ص ٣٢٠) نقلاً عن صحيح مسلم (ج١/ص ٢٤٢)، وسنن أبي داود (ج٢/ص ٢٨٠)، وموطأ مالك (ج١/ص ١٤٧)، وسنن ابن ماجة (ج١/ص ١٨٨)، وصحيح الترمذي (ج١/ص ١٠٦)، وسنن النسائي (ج٣/ص ١٨٤)، وسنن البيهقي (ج٣/ص ٢٩٤)، واللفظ لابن ماجة.

(٣) صحيح مسلم (ج١/ص ١٩٣)، ورواه في الغدير (ج٦/ص ٨٣)، عن سنن أبي داود (ج١/ص ٥٣)، وسنن ابن ماجة (ج١/ص ٢٠٠)، ومسند أحمد (ج٤/ص ٢٦٥)، وسنن النسائي (ج١/ص ٥٩،٦١)، وسنن البيهقي (ج١/ص ٢٠٩).

مايسمعونه ويرونه من رسول اللّه(ص)، ولم يفكّروا في حينه أن يعدّو أنفسهم لإمامة المسلمين في الرواية والفتوى في الدين بعد رسول اللّه(ص).

وقد كان أصحاب رسول اللّه(ص) في المدينة كما يقول ابن حزم: (مشاغيل في المعاش لتعذّر القوت عليهم لجهد العيش بالحجاز، وأنه ـ يعني رسول اللّه ـ كان يفتي بالفتيا ويحكم بالحكم فيمن حضره من أصحابه فقط، وإنّما قامت الحجّة على سائر من لم يحضره (ص) بنقل من حضره وهم واحد أو اثنان)[4].

ولم يكن من عادة الصحابة أن يبادروا رسول اللّه(ص) بالسؤال في أمور الدين حتى أن بعضهم كان يترقب مجيء أعرابي من البادية ليسأل رسول اللّه عن أمر من الدين فيستمعون الى حديث رسول اللّه(ص).

يقول الامام علي بن أبي طالب(ع):

(وليس كلّ أصحاب رسول اللّه كان يسأله ـ أي يسأل رسول اللّه ـ عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهم، حتى انهم كانوا ليحبون أن يجيء الاعرابي أو الطارىء فيسأل رسول اللّه حتى يسمعوا)[5].

وقد بلغ الأمر بأصحاب رسول اللّه(ص) حدوداً محرجة، حتى أنهم كانوا يحرجون بالسؤال عن أشياء لم تقع بعد، وليست موضع حاجة فعلية، ولا يكتمون تضايقهم عن ذلك.

فقد كان عمر بن الخطّاب يقول على المنبر: (احرج باللّه على رجل سأل عما لم يكن، فإنّ اللّه قد بيّن ماهو كائن).

---

(٤) الأصول العامة للفقه المقارن/ص ١٧٢ـ نقلاً عن تمهيد لتأريخ الفلسفة الإسلامية/ص ١٢٣.

(٥) الغدير/(ج٦/ص ٩٢)ـ نقلاً عن سنن الدارمي (ج١/ص ٥٠) وما بعده.

ويقول أيضاً: (لا يحلّ لأحد أن يسأل عما لم يكن. إنّ اللّه تبارك وتعالى قضى فيما هو كائن).

وكان ابن عمر يقول: (إنّي سمعت عمر بن الخطاب يلعن من سأل عمّا لم يكن).

وليس في الأمر من بأس أن يسأل الناس أصحاب رسول اللّه(ص) عن سنّة رسول اللّه(ص) وحديثه في امور وقضايا تستقبل المسلمين فيما بعد وإن كانت الآن ليست موضع حاجة فعلية، ليحفظوا للأجيال التي تأتي من بعد سنّة رسول اللّه(ص) وحديثه ليكون لهم منهجا للعمل والحياة.

ليس في ذلك بأس بالتأكيد، وإنما الأمر كل الأمر أنّ أصحاب رسول اللّه(ص) لم يتفرغوا لتلقي الحديث عن رسول اللّه(ص) وضبطه ضبطاً دقيقاً، ولم يهيئوا أنفسهم، ليحملوا ميراث رسول اللّه(ص) من العلم الى الأجيال المقبلة ولم تكن مسألة اعداد من يحمل بعد رسول اللّه(ص) ميراث السنّة الى المسلمين تخفى على رسول اللّه(ص) أويهملها رسول اللّه(ص). وإنّما كان رسول اللّه(ص) قد خطط لهذا الشأن تخطيطاً آخر بأمر من اللّه تعالى يمر علينا طي هذا الحديث.

ب) الإحجام عن تدوين سنّة رسول اللّه(ص):

ولو أنّ المسلمين تنبّهوا الى خطأهم في عدم ضبط السنّة النبويّة في حياة رسول اللّه(ص)، وتداركوا الأمر من بعد رسول اللّه(ص) بتدوين ماكان بأيديهم من حديث رسول اللّه(ص) وسنته لهان الأمر كثيرا، واستطاعوا أن يحفظوا لنا سطراً كبيراً من سنّة رسول اللّه(ص) من الضياع والتلف. وقد كان في المدينة المنورة بشكل خاص وفي الحواضر الاسلامية، بشكل عام، عدد كبير من العدول من أصحاب رسول اللّه(ص) ممن يعرفهم المسلمون

بالصدق والاستقامة واتباع سنّة رسول اللّه(ص).

إلاّ أننا نلاحظ وبأسف كبير أنّ جمعاً من كبار الصحابة كانوا ـ ولأسباب خافية علينا لحد الآن ـ يكرهون تدوين حديث رسول اللّه(ص)، ويعارضون ذلك، ويمنعون عنه أحياناً بصورة علنية ورسمية.

وكانوا يذكرون لهذا الاحجام والاكراه أسباباً وتبريرات نحن نشك اليوم في واقعيتها وصحّتها دون أن نُسريّ هذا الشك الى نياتهم.

فقد كانوا يبررون هذا المنع بأنّ تدوين السنّة النبويّة والاهتمام بها يؤدي الى الإعراض عن كتاب اللّه أو يؤدي الى خلط كتاب اللّه بغيره، كما حدث في الأمم الماضية.

ونحن قد وجدنا أنّ المسلمين فيما بعد ـ وبعد فوات الكثير من الفرص ـ ضبطوا ماتبقى لهم من السنّة النبويّة، دون أن يؤدي ذلك الى الاعراض عن القرآن أو خلطه بغيره.

ومهما يكن من أمر فإنّ اكراه جملة من كبار الصحابة عن تدوين حديث رسول اللّه(ص) أمر ثابت ومتيقن تاريخياً، أثبتته السير والتواريخ ومصادر الحديث، ولا مجال فيه للمناقشة، وما ألحق ذلك بالفكر والثقافة الاسلامية من ضرر وخسارة كبيرة نتيجة ضياع شطر كبير من السنّة النبويّة أمر واضح هو الآخر، لا يمكن المناقشة فيه والدفاع عنه.

وليس لنا من هذا أو ذاك أن نشك في صدق نية أصحاب هذا الرأي في المنع عن تدوين سنّة رسول اللّه(ص)، وإن كنا نسمح لأنفسنا في مناقشة صحة وواقعيّة التبريرات التي ذكروها لذلك.

وقد ظهرت هذه الكراهة وهذا الاحجام عند جملة من الصحابة بعد وفاة رسول اللّه(ص) مباشرة، واتخذ صورة موقف ديني استمر حتى بداية القرن الثاني الهجري، كما سوف نرى، أحجم خلاله المسلمون من تدوين وتبويب،

وتجميع سنّة رسول الله(ص) في عمل علمي ومنظم، وإنّ كانت الساحة الاسلامية لا تخلوا يومذاك من عدد من الصحابة والتابعين لم يؤمنوا بهذا التوجه وجمعوا لنا ما أمكنهم من سنّة رسول الله(ص). والله تعالى، وحده، يعلم ما أصاب السنّة النبويّة من ضياع ، وما أصاب المسلمين والثقافة الاسلامية من خسارة خلال هذه المدة.

وفيما يلي نذكر بعض الشواهد التاريخية على هذا الاتجاه والموقف الرسمي من حديث رسول الله(ص) وسنّته.

روى الحاكم بسنده عن عائشة قالت: (جمع أبي الحديث عن رسول الله(ص) فكانت خمسمائة حديثاً، فبات يتقلّب، قالت: فغمني كثيراً. فقلت: يتقلّب لشكوى أو لشيء بلغه. فلما أصبح قال: أي بنية: هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فأحرقها. وقال: خشيت أن أموت، وهي عندك، فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت به، ولم يكن كما حدّثني، فأكون قد تقلدت ذلك).

وكان عمر بن الخطاب ينهى أصحاب رسول الله(ص) عن رواية حديث رسول الله(ص).

روى الحاكم عن قرظة بن كعب، قال: (خرجنا نريد العراق، فمشى معنا عمر بن الخطاب الى صرار، فتوضأ. ثم قال: أتدرون لم مشيت معكم قالوا: نعم نحن أصحاب رسول الله(ص) مشيت معنا. قال: إنّكم تأتون أهل قرية لهم دويّ بالقرآن كدويّ النحل، فلا تبدونهم بالأحاديث، فيشغلونكم. جرّدوا القرآن، وأقلّوا الرواية عن رسول الله(ص))[6].

وروى الحاكم أيضا بسنده عن سعد بن ابراهيم عن أبيه أنّ عمر بن

---

(٦) مستدرك الصحيحين/للحاكم/(ج١/ص ١٠٢).

الخطاب قال لابن مسعود ولأبي الدرداء ولأبي ذر: (ماهذا الحديث عن رسول اللّه(ص) وأحسبه حبسهم بالمدينة حتى أصيب)[7].

وأخرج الطبراني عن ابراهيم بن عبد الرحيم أنّ عمر حبس ثلاثة: (ابن مسعود، وأبا الدرداء، وأبا مسعود الأنصاري، فقال: لقد أكثرتم الحديث عن رسول اللّه(ص)، حبسهم في المدينة حتى استشهد)[8].

وقال أبو هريرة: (ماكنا نستطيع أن نقول: قال رسول اللّه(ص) حتى قبض عمر)[9].

وقد ألجأت الحاجة أصحاب رسول اللّه(ص) في عهد عمر الى كتابة حديث رسول اللّه(ص) فمنعهم عمر بن الخطاب عن ذلك.

قال السيوطي في تنوير الحوالك: (عن الزهري، قال أخبرني عروة بن الزبير أنّ عمر بن الخطاب(رض) أراد أن يكتب السّنن، فاستشار فيها أصحاب رسول اللّه(ص) فأشار عليه عامتهم بذلك، فلبث عمر شهر يستخير اللّه تعالى في ذلك شاكاً فيه، ثم أصبح يوماً، وقد عزم تعالى له، فقال: إنّي كنت قد ذكرت لكم من كتابة السّنن ماقد علمتم ثم تذكّرت، فاذا أناس من أهل الكتاب قبلكم قد كتبوا مع كتاب اللّه كتباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب اللّه، وإنّي واللّه لا ألبس كتاب اللّه بشيء، فترك كتابة السّنن)[10].

وبدأ الاهتمام بتدوين السنّة عند المسلمين في نهاية خلافة عمر بن

(٧) مستدرك الصحيحين/(ج١/ص ١١٠).

(٨) الغدير/ (ج٦/ص ٢٩٤) نقلاً عن تذكرة الحفّاظ/ (ج١/ص ٧)، مجمع الزوائد/ (ج١/ص ١٤٩).

(٩) الغدير/ (ج٦/ص ٢٩٤) نقلاً عن تاريخ ابن الأثير/ (ج٨/ص ١٠٧).

(١٠) تنوير الحوالك/للسيوطي/(ج١/ص ٤).

عبدالعزيز[11].

قال السيوطي: (وأخرج الهروي في ذمّ الكلام من طريق يحيى بن سعيد عن عبدالله بن دينار، قال: لم يكن الصحابة ولاالتابعون يكتبون الحديث. إنّما كانوا يؤدونها لفظاً ويأخذونها حفظاً، إلاّ كتاب الصدقات والشيء اليسير الذي يقف عليه الباحث بعد الاستقصاء، حتى يخيف عليه الدروس وأسرع في العلماء الموت فأمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أبا بكر الحزمي فيما كتب اليه ان انظر ماكان من سنّة أو حديث عمر فاكتبه)[12].

---

(11) ومن عـجب أنّ رسول الله (ص) كان يشير إلى حدوث مثل هذه الظاهرة في الإقتصار على كتاب الله والتناقل عن رواية الحديث ونقله.

روى الحاكم في المستدرك (ج١/ص ١٠٨)، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن النبي (ص) قال: (لا ألفين أحدكم متّكئاً على أريكته، يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: ما أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتّبعناه).

وروي الحاكم أيضاً (ج١/ص ١٠٩) عن عبيد الله بن أبي رافع أنّ رسول الله (ص) قال: (لا أعرفنّ الرجل متكئاً يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: ما ندري، هذا هو كتاب الله، وليس هذا فيه).

وعنه أيضاً في (ج١/ص ١٠٩)، أنّ رسول الله (ص) قال (والناس حوله): (لا أعرفنّ أحدكم يأتيه أمر من أمري قد أمرت به أو نهيت عنه، وهو متكىء على أريكته، فيقول: ما وجدنا في كتاب الله عملنا به وإلاّ فلا).

وروى الحاكم أيضاً في (ج١/ص ١٠٩)، عن مقدام بن معد يكرب صاحب رسول الله (ص) يقول: حرم النبي (ص) أشياء يوم خيبر، منها الحمار الأهلي وغيره، فقال رسول الله (ص): يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته، يحدّث بحديثي، فيقول: بيني وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه، وإنّما حرّم رسول الله (ص) كما حرّم الله.

(12) تنوير الحوالك/(ج١/ص ٤ـ٥).

وقال مالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن: (أنبأنا يحيى بن سعيد أنّ عمر بن عبدالعزيز كتب الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: ان انظر ماكان من حديث رسول الله(ص) أو سنته أو حديث عمر أو نحو هذا فاكتبه لي فإني خفت دروس العلم، وذهاب العلماء. علقه البخاري في صحيحه وأخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان بلفظ كتب عمر بن عبدالعزيز الى الآفاق: حديث رسول الله(ص) فاجمعوه)[١٣].

وأخرج ابن عبدالبر في التمهيد من طريق ابن وهب قال: (سمعت مالكاً يقول: كان عمر بن عبدالعزيز يكتب الى الأمصار يعلّمهم السّنن والفقه، ويكتب الى المدينة يسألهم عمّا مضى وأن يعملوا بما عندهم، ويكتب الى أبي بكر بن عمر بن حزم أن يجمع السّنن ويكتب اليه بها، فتوفى عمر وقد كتب ابن حزم كتباً قبل أن يبعث بها اليه.

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري عقب التعليق السابق: يستفاد من هذا ابتداء تدوين الحديث النبوي ثم أفاد أنّ أول من دونه بأمر عمر بن عبدالعزيز ابن شهاب الزهري)[١٤].

وقال ابن حجر العسقلاني: (انّ آثار النبي(ص) لم تكن في عصر أصحابه وكبار تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين أحدهما أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك، كما في صحيح مسلم، خشية أن يختلط ذلك او بعض ذلك بالقرآن العظيم، وثانيهما لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم، وأنّ أكثرهم كانوا لايعرفون الكتابة، ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار لما انتشر العلماء في الأمصار وكثر الابتداع من

---

(١٣) تنوير الحوالك/(ج١/ص ٥).

(١٤) تنوير الحوالك.

الخوارج والروافض ومنكري الأقدار، فأول من جمع ذلك الربيع من صبيح وسعيد بن أبي عروبة وغيرهما، وكانوا يصنفون كل باب على حده الى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدونوا الأحكام فصنّف الامام مالك الموطأ، وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز. الى أن رأى بعض الأئمة منهم أن يفرد حديث النبي(ص) خاصة وذلك على رأس المئتين)[١٥].

ومما تقدم يظهر:-

أ - أنّ الصحابة كانوا لا يكتبون الحديث عن رسول الله(ص) أو على الأقل لم يصلنا من الصحابة كتاب في الحديث.

ب - وازدادت الحاجة الى تجميع وتدوين الحديث في خلافة عمر بن الخطاب، إلّا أنّ الخليفة لم يرضخ لهذا الأمر، وأبى على المسلمين أن يجمعوا ويدونوا الحديث، واعتذر لهم بأنّ هذا الحديث قد يخلط بالقرآن أو قد يشغل الناس عن كتاب الله.

ج - ونتيجة لإهمال السّلطة الرسمية لأمر تدوين حديث رسول الله(ص) فقد استغل الوضّاعون للحديث رواية الحديث وشاعت البدع بين المسلمين.

د - كما إنّ الحروب المستمرة التي خاضها المسلمون ضد البلاد المجاورة من ايران والشام والعراق وغيرها أدت الى استشهاد عدد كبير جداً من حملة العلم من أصحاب رسول الله(ص) وتابعيهم بإحسان، وضاع كثير من الحديث بموت الأصحاب والتابعون من العلماء حتى كاد أن يضيع ميراث رسول الله(ص) من العلم.

هـ - فبادر عمر بن عبدالعزيز، الخليفة الأموي، الى تدارك الموقف

---

(١٥) مقدمة فتح الباري/للعسقلاني/(ص ٤ و ٥).

والاحتفاظ ببقية ما احتفظ به التابعون من حديث رسول الله(ص)، وكان ذلك في رأس المائة الثانية لان عمر بن عبدالعزيز تولى الحكم في سنة ٩٩ هـ ومات سنة ١٠١ هـ.

فكتب الى أبي بكر بن حزم أن يجمع حديث رسول الله(ص) وسنته، لكن عمر مات قبل أن يفرغ أبو بكر بن حزم من وضع هذه الكتب.

و ـ وبموت عمر مات المشروع، ثم عاد بعد ذلك على يد محمد بن مسلم بن شهاب الزهري[١٦] بأمر من هشام بن عبدالعزيز.

ثم شاع التدوين في الطبقة التي جاءت من بعد الزهري. وعلى نحو العموم فإنّ (أول تدوين للسنن بالمعنى الحقيقي يقع مابين سنة ١٢٠ هـ وسنة ١٥٠ هـ)[١٧].

وبوسع القارئ، بعد ذلك أن يتصور مدى مالحق الحديث النبوي من ضياع وتلف خلال هذه الفترة الطويلة التي امتدت تقريباً الى بداية القرن الثاني من الهجرة النبويّة.

فقد ضاع خلال هذه الفترة الطويلة والأساسية في نقل ميراث النبوة، الكثير من سنة رسول الله(ص) وحديثه. وماحفظ الصحابة والتابعون من حديث رسول الله(ص) لم يكن يسد بالتأكيد حاجة المسلمين الى معرفة أحكام الله تعالى. ولم يكن يغني المسلمين فيما يحتاجونه من الأحكام الالهية.

ج)مشكلة الوضع والوضّاعين:

كان من الطبيعي أن يجد أصحابُ المطامع في الدنيا في وضع الحديث على

(١٦) عالم الحجاز والشام، وتوفي سنة ١٢٤.

(١٧) تمهيد لتأريخ الفلسفة الإسلامية/ص ١٩٥، ١٩٨ـ نقلاً عن الأضواء لابن رية/ص ٢٢٦.

رسول الله(ص) ارضاء لمطامعهم فيكثروا من وضع الحديث، حتى أصبح من الصعب تمييز صحيحه عن سقيمه ورغم كل الجهود التي بذلها أئمة الحديث فقد دخل في الحديث شيء كثير من الموضوع، كما ودخل أيضا شيء كثير من الحديث الصحيح في الضعيف الذي أهمله علماء الحديث لعدم توفر شروط الرواية فيها بالقدر الكافي وأدى ذلك الى كثير من الاختلاف في الفتوى والرأي وضياع كثير من الأحاديث، وتسرّب الكذب والوضع حتى الى الكتب المعتبرة في الحديث، مما أدى الى اشتباه الصحيح بالموضوع في كثير من الأحوال.

وقد بلغ الحديث الموضوع على لسان رسول الله(ص) حداً كبيراً يفوق التصور.

حتى كان البخاري ـ صاحب الصحيح ـ يقول: (أحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح)[18].

واسحاق بن ابراهيم كان يقول: (إنّه حفظ أربعة آلاف حديثاً مزوّرة)[19].

وذكر العجلوني في خاتمة كتابه (كشف الخفاء) جملة من الموضوعات والوضّاعين والكتب المزورة وعدّ في صفحة ٤١٩ ـ ٤٢٤ مائة باب أكثرها في الفقه، وقال بعد كل باب لم يصح فيه حديث أو ليس فيه حديث صحيح وما يقرب من ذلك[20]

وروى مسلم عن أبي هريرة، أنه قال: (قال رسول الله(ص) يكون في

---

(١٨) الغدير/ (ج٥/ص ٢٩١) نقلاً عن إرشاد الساري/ للقسطلاني/ (ج١/ص ٣٣).
(١٩) الغدير/ (ج٥/ص ٢٩٢) نقلاً عن تاريخ الخطيب البغدادي/ (ج٦/ص ٣٥٢).
(٢٠) الغدير/(ج٥/ص ٢٩٢).

آخر الزمان دجّالون كذّابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإيّاكم وإيّاهم لا يضلّونكم ولا يفتنونكم)[21].

ولربما كان يتصدّى لوضع الحديث رجال يذكرونهم الناس بالصلاح والتقوى وكان لبعضهم رأي في تبرير الوضع إذا كانت الغاية ترقيق قلوب الناس في المواعظ وترغيبهم الى الأعمال الصالحة وترهيبهم من عقاب اللّه تعالى.

وروى مسلم عن محمد بن يحيى بن سعيد القطان عن أبيه قال: (لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث)[22].

وروى مسلم عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال: (أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمونون ما يؤخذ عنهم الحديث)[23].

ومن أطرف ماروي في وضع الحديث ما حكاه الملاّ علي القاري، في (الأسرار المرفوعة) قال: (روي أنّه صلّى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة، فقام بين أيديهم قاص فقال: حدّثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، قالا: حدّثنا عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس، قال: قال رسول اللّه(ص): (من قال لا إله إلاّ اللّه خلق اللّه تعالى من كل كلمة منها طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان)، وأخذ في قصته نحواً من عشرين ورقة.

فجعل أحمد بن حنبل ينظر الى يحيى ويحيى ينظر الى أحمد فقال له: أنت حدّثته بهذا فقال: واللّه ماسمعت بهذا إلاّ الساعة.

---

(٢١) صحيح مسلم/(ج١/ص ٩).

(٢٢) صحيح مسلم/(ج١/ص ١٣).

(٢٣) صحيح مسلم/(ج١/ص ١١)

فلما فرغ من قصته وأخذ العطيات ثم قعد ينتظر بقيتها فقال له يحيى ابن معين بيده، تعال، فجاء متوهماً للنوال فقال له يحيى: من حدّثك بهذا الحديث.

فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين.

فقال: أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل ماسمعنا بهذا قط في حديث رسول الله(ص) فإن كان ولا بدّ من الكذب فعلى غيرنا.

فقال له: أنت يحيى بن معين؟.

قال: نعم.

قال: لم أزل أسمع أنّ يحيى بن معين أحمق، ما تحققته إلاّ الساعة.

فقال له يحيى: كيف علمت أنني أحمق.

قال: كأنّه ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما. قد كتبت نحو سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين.

فوضع أحمد كمه على وجهه، وقال: دعه يقوم فقام كالمستهزىء بهما)[٢٤].

وبهذا النحو يرى الباحث أنّ الوضّاعين قد بدأوا لأغراض كثيرة لايسعنا هنا استعراضها بوضع الحديث على رسول الله(ص) منذ وفاة رسول الله(ص) الى مابعده من العصور.

ويكفي للدلالة على ضخامة موجة الوضع أن نعلم أنّ أبا داود قد أتى في سننه بـ ٤٨٠٠ حديثاً تقريباً انتخبه من خمسمائة ألف حديث.

وصحيح البخاري يحتوي على ٢٧٦١ حديثاً مع اسقاط المكررات قد اختاره البخاري من بين ٦٠٠٠٠٠ حديث تقريباً[٢٥].

---

(٢٤) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة/ص ٥٥.

(٢٥) الغدير/(ج٥/ص ٢٩٢)ـ نقلاً عن طبقات الحفّاظ/للذهبي/(ج٢/ص ١٥٤).

وروى أحمد في مسنده ٣٠٠٠٠ حديثاً انتخبه من أكثر من ٧٥٠٠٠٠ حديثاً. وكان يحفظ ألف ألف حديث.

وكتب أحمد بن الفرات المتوفى ٢٥٨ هـ ألف ألف وخمسمائة ألف حديث فأخذ من ذلك ثلاثمائة ألف في التفسير والأحكام والقواعد وغيرها[٢٦].

ومهما بالغ علماء الحديث في تصفية الحديث النبوي من الموضوعات فقد دخل بلا شك كثير من الحديث الموضوع في كتب الحديث المعتبرة والذي يعمل بموجبه المسلمون وتسلل كثير من هذا الحديث الى الاسناد التي لا يمكن أن يشك فيها المحدّث.

وقد كان الوضّاعون يعملون أحياناً بدقة متناهية، ويدسّون الحديث فيما بين الطرق والأسانيد المعتبرة بدقة فائقة، يصعب تمييزها عن الصحيح حتى على رجال الاختصاص في الفن.

وفي مقابل ذلك، فقد أعرض رجال الحديث عن كثير من الحديث الصادق الصادر عن رسول الله(ص) لعدم توفّر شروط الصحة في نقله. ونتيجة هذا وذاك أن ضاع واختلط كثير من سنّة رسول الله(ص) وأصابت المسلمين خسارة في ميراثهم من رسول الله(ص).

٢ـ كيف ذلّل المسلمون الطريق إلى الحكم الشرعي

ولهذه الأسباب ولأسباب كثيرة أخرى، واجه المسلمون بعد وفاة رسول الله(ص) مشكلة النقص في ميراثهم التشريعي من السنّة النبويّة.

ولسنا نحتاج في اثبات هذه الدعوى الى اقامة مزيد من الأدلة

---

(٢٦) الغدير/(ج٥/ص ٢٩٣) ـ نقلاً عن خلاصة التهذيب/ج٩.

والشواهد، فأن لجوء المسلمين الى الرأي والاجتهاد والقياس والاستحسان بعد رسول اللّه(ص) مباشرة تدل دلالة واضحة على هذه الحقيقة.

فلم يكن فقهاء المسلمين يلجأون الى الرأي والاجتهاد لولا ذلك، وأفضل ما يقال في تعريف الاجتهاد أنه الأخذ بالحجج الشرعية لتحصيل الحكم الشرعي أو الوظيفة العملية للمكلّف سواء كانت شرعية أو عقلية.

وبغض النظر عن المناقشات والمؤاخذات الكثيرة على الكثير من مسالك الاجتهاد فان الاجتهاد لا يمنح المجتهد من حجّية الحكم الذي يفتي به.

وحجّية الحكم لا تعني أكثر من التنجيز والتعذير أمام اللّه، تنجيز الحكم وتثبيته على ذمّة المكلّف ومعذوريته بين يدي اللّه في حالة خطأ رأي المجتهد وعدم إصابته للحكم الواقعي.

فان المجتهد يبذل أقصى ما في وسعه معتمداً على الحجج الشرعية لاستنباط الحكم الشرعي أو الوظيفة العملية في حدود الأدلّة المتوفرة لديه. وهذا المقدار وحده لا يكفي في احراز الحكم الشرعي الواقعي، وإنّما ينفع في تنجّز الحكم على المكلّف وتعذيره فقط، وهو معنى (الحجّية). وحجّية الحكم شيء آخر غير واقعية الحكم.

وأقصى مايستطيع أن يحرزه الفقيه، بعد بذل أقصى مايستطيع من الجهد في الاستنباط، وبعد سلامة مسالك الاجتهاد: إنّ الحكم الذي استخرجه حجّة شرعاً دون أن تكون له طريق الى إحراز أنه هو حكم اللّه الواقعي الذي شرّعه لعباده.

فالحجّية إذن في الاجتهاد قطعية إلاّ أن مطابقة الأحكام التي يستنبطها الفقيه لأحكام اللّه الواقعية التي شرعها لعباده ظنية ولا يستطيع الفقيه أن يقطع بأنها هي أحكام اللّه قطعاً، وليس له إلاّ الظن بالموافقة والمطابقة.

ومن أجل ذلك وردت في بعض تعاريف الفقهاء للاجتهاد كلمة (الظن) كما ينقل عن الآمدي وغيره.

قال الآمدي في تعريف الاجتهاد: (هو في الاصطلاح استفراغ الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية، على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد عليه)[27].

والظن المأخوذ في تعريف الآمدي ليس في أصل الحجّية يقيناً، وإنما في مطابقة الاجتهاد للأحكام الالهية الواقعية، وفي اصابة الأحكام الواقعية.

فالاجتهاد، اذن، لا يزيد على أن يكون ظناً بمطابقة ماتؤدي اليه الأدلة الشرعية للأحكام الالهية الواقعية. وليس في وسع الفقيه أكثر من الظن بالحكم الشرعي وهو أن كان ظنّاً معتبراً من الناحية الشرعية، إلاّ أنّه لا يضمن مطابقة الفتوى للحكم الشرعي الواقعي دائماً، بل إنّ الفقيه ليعلم أن الحالات التي يخطىء فيها الحكم الالهي في الوقائع ليست بالقليلة. وأدل شيء على ذلك اختلاف فتاوى المجتهدين في الرأي، فإنها جميعاً لا يمكن أن تكون مطابقة لحكم اللّه تعالى، وفي أحسن الفروض فإن رأياً واحداً منها يطابق حكم اللّه الواقعي والآراء الأخرى تخطئه.

والمجتهد وإن كان معذوراً في هذا الخطأ، أن الخطأ يبقى دائماً، رغم العذر خطأ.

وأقل مافي هذا الخطأ أنه يفوّت على المكلّف المصالح الحقيقية المترتبة على أحكام اللّه الواقعية، ويعرضه لأضرار كثيرة لا يمكنه أن يتجنّبها مهما كان عذره في عدم إصابة حكم اللّه الواقعي، فإن هذه الأعذار وإن كانت تنجيه من العقاب الالهي في الآخرة ولكنها لا تغير ولا تبدل الآثار الطبيعية

---

(٢٧) إرشاد الفحول/للشوكاني/ص ٢٥٠.

الناجمة عن امتثال أحكام الله تعالى ومخالفتها.

ولا شك أن تشريع هذه الأحكام من لدن الله تعالى يقوم على أساس من سلطة متشابكة ومترابطة من المصالح الحقيقية التي يعلمها الله تعالى في حياة الانسان الفردية والاجتماعية، ولا يعلمها العباد.

وأول أثر لهذا الخطأ الذي يعذر الله تعالى صاحبه في الآخرة عليه أنه يحرم من الآثار الطبيعية المترتبة على الأحكام الالهية في حياته الدنيا وفي تكامله النفسي والروحي للآخرة، ويتعرّض للأخطار والأضرار الطبيعية الناجمة عن ترك أحكام الله، مهما كان عذره في هذا الترك. وهذه المصالح وتلك الأضرار لا علاقة لها بمعذورية المكلّف بحال من الأحوال، فهي تؤثّر أثرها مهما كان عذر المكلف.

فالسمّ الذي يتناوله الجاهل، المعذور في جهله يقتله وان كان معذوراً في فعله، ولا يعاقبه الله على عمله ولا يعدّ عمله من الإنتحار المحرّم، إلّا أن السمّ يبقى سمّاً قاتلاً رغم كل شيء.

وكذا علاقة الأحكام الالهية الواقعية بآثارها الطبيعية الناشئة عنها.

فاجتهاد المجتهدين مهما كانت حجّة يقينه فهو ظنّي المطابقة للأحكام الواقعية الالهية، وبذلك فأنه يفوّت على المكلفين كثيراً من المصالح الدنيوية والأخروية التي من أجلها شرعها الله.

ونريد أن نسأل هنا سؤالاً حساساً دون أن نقف عند هذا السؤال طويلاً لئلا تنقطع علينا سلسلة الأحاديث التي نتابعها في هذا البحث. وذلك:

هل يمكن أن يترك الله عباده بعد رسول الله (ص) ـ وهو اللطيف بعباده، وقد كتب على نفسه الرحمة ـ من غير دليل يدلّهم بوضوح على طريق مستقيم الى أحكامه الحقيقية من غير انحراف أو خطأ أو شك أو ترديد، وبشكل مضمون الصحة ومقطوع النتيجة كما كان تعالى قد هدى عباده الى

هذا الدليل وفتح عليهم هذا الباب في حياة نبيّه (ص) وفي شخص رسوله الكريم (ص) فكان المسلمون إذا التبس عليهم أمر أو واجهوا واقعة سألوا رسول اللّه (ص) عن حكم ذلك فأعطاهم (ص) حكم اللّه الحقيقي من دون لبس أو ترديد أو غموض.

فهل يمكن أن يترك اللّه عباده بعد رسول اللّه (ص) للفروض والاحتمالات والظنون والشكوك والمخالفات مهما كان عذر المكلفين في ذلك، دون أن يأخذ بأيديهم الى المعين الصافي الذي يأخذون منه دين اللّه تعالى صافياً نقياً وهو الذي وسعت رحمته كلّ شيء وكتب على نفسه الرحمة.

وكيف يمكن أن يترك عباده للآراء والاجتهادات التي تصيب الحق حيناً وتخطؤه أحياناً مهما كان عذر المكلّف.

ونحيل الجواب الى القارىء ونتجاوز السؤال والجواب معاً ونتساءل.

٣ـ هل فتح الاسلام طريقاً الى السنة النبوية للاجيال اللاحقة؟

الإجتهاد في مقابل النصّ:

مهما يقال في حجّية هذا الاجتهاد بعد رسول اللّه (ص) وفي صحة هذا الاتجاه. فلا شك عند أحد من المسلمين أن هذا الاجتهاد والرأي مهما كان شكله فلا يصح ولا يستقيم عند وجود النص الشرعي، فلا اجتهاد في قبال النص مطلقاً، وباجماع المسلمين فإنّ الاجتهاد ينتفي موضوعه ومورده عند وجود النص الجلي الواضح على الحكم الشرعي لأن الاجتهاد كما يظهر من نفس الكلمة بذل الجهد في تحصيل الحكم الشرعي أو الوظيفة الشرعية، فاذا كان الدليل على الحكم الشرعي حاصلاً بنص جلي واضح من مصدر مؤكّد فلا تبقى ثمّة حاجة الى الاجتهاد، ولا معنى له على الاطلاق، ولذلك فان من

المتفق عليه بين المسلمين أن الاجتهاد في مورد النص باطل.

ونقصد بالنص المصدر الشرعي، الذي يضمن شرعاً وبصورة أكيدة بيان الحكم الالهي، من غير خطأ أو انحراف أو شك أو ترديد، كما في الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة والمبينة.

فان صحّ وجود مثل هذا المصدر بعد رسول اللّه (ص) فلا يجوز بالتأكيد في مثل هذه الحالة أن يلجأ أحد الى الاجتهاد والرأي بكل أساليبه وأنواعه.

وها نحن نأخذ بيد القارئ، مستعينين باللّه تعالى، مسترشدين به، لنرى هل جعل اللّه تعالى للمسلمين (مصدراً حياً) لدينه بعد رسوله (ص) وامتداداً لسنّة رسول اللّه (ص) ليلجأوا اليه فيما يهمّهم من أمور دينهم ودنياهم، أم تركهم للرأي والاجتهاد؟

وهل هناك من مصدر مفتوح بعد كتاب اللّه، وبعد وفاة رسول اللّه(ص) للسنة النبوية يرجع اليه المسلمون متى شاؤوا، وهل خلّف رسول اللّه (ص) من بعده مصدراً مفتوحاً لسنته يهتدي به المسلمون الى شريعة اللّه أم أن السنة النبوية قد انقطعت عن المسلمين بعد وفاة النبي (ص)، ولا سبيل لهم اليها إلّا فيما رواه الصحابة من أحاديث رسول اللّه (ص)؟ وقد عرفنا من قبل حال هذه الروايات وما يلابسها من مشكلات تاريخية لا تجعل الرجوع اليها ميسوراً في كثير من الأحوال. ذلك ما نحاول الاجابة عليها فيما يأتي من هذا البحث.

إن شاء اللّه.

•

إمامة أهل البيت(ع)

نظرة عامة الى سيرة رسول الله (ص) وسنته تكفي ليطمئن الانسان الى أن النبي (ص) كان مكلّفاً من جانب الله تعالى للاعداد لخلافة أهل بيته (عليهم السلام) من بعده في أمّته لأمور دينهم ودنياهم.

وكان رسول الله(ص) يسعى في هذا الأمر، ويعمل كل مايمكنه لاعداد الأمة للرجوع الى أهل البيت من بعده في أمور دينهم ودنياهم، ويعمل كذلك لاعداد علي بن أبي طالب (ع) من أهل بيته ليكون من بعده مرجعاً وملاذاً للمسلمين لمعرفة دينهم وما يشتبه عليهم وما يجهلونه من أمور دينهم ومصدراً من بعده يأخذون عنه سنته. وقد تكرر منه (ص) توجيه الأمة الى الرجوع الى أهل البيت (ع) في أكثر من موقع وفي أكثر من مناسبة. وكان (ص) يظهر اهتماماً أكثر في ذلك كلّما دنا به الأجل.

وليس في الامكان أن نستعرض كل الأحاديث والمواقف التي وقفها النبي (ص) في توجيه الأمة الى أهل بيته إلاّ أننا نستعرض نماذج من ذلك استعراضاً سريعاً لننتهي بعد ذلك الى ما نحن بصدده من الحديث عن آية التطهير.

١ـ حديث الثقلين:

ورد هذا الحديث في روايات كثيرة، ويبدو أن رسول الله (ص) تحدث به في أكثر من موضع ورواه أئمة الحديث والتفسير والتاريخ بألفاظ مختلفة. ونحن ننقل الحديث ببعض ألفاظه الواردة في كتب الحديث.

(أيها الناس انما أنا بشر أوشك أن أدعى فأجيب، وأني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما (أو ما ان اعتصمتم بهما) لن تضلّوا أبداً ـ وهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ـ أحدهما أثقل من الآخر، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فاتقوا الله وانظروا كيف تخلفوني (أو كيف تحفظوني) فيهما (أو أن اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يلقياني) فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم، وتوشكون أن تردوا علي الحوض وأسألكم حين تردون علي عن الثقلين كيف خلفتموني فيهما، فمن استقبل قبلتي وأجاب دعوتي فليستوص بهما خيراً).

وهذا الذي رويناه مزيج من بعض ألفاظ الحديث، ومن يريد الوقوف على كل ألفاظ الحديث، فليراجع الرسالة القيّمة التي أصدرتها دار التقريب بين المذاهب الاسلامية في هذا الحديث[٢٨].

وقد ورد هذا الحديث ببعض ألفاظه في صحيح مسلم (ج ٧/ ص ١٢٢)، وسنن الترمذي (ج ٢/ص ٣٠٧)، وسنن الدارمي (ج ٢/ص ٤٣٢)، ومسند أحمد بن حنبل (ج ٣/ ص ١٤ و٢١٧، وص ٢٦ و٥٩، و(ج ٤/ص ٣٦٦ وص ٣٧١)، وأيضاً في (ج ٥/ص ١٨٢ و١٨٩)، وخصائص النسائي (ص ٣٠)، ومستدرك الحاكم (ج ٣/ص ١٠٩ و١٤٨ و٥٣٣)، والحافظ الكنجي الشافعي في كفاية الطالب في الباب الأول (ص ١١) في بيان صحة خطبته بماء يدعى خما، قال بعد نقل الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه، ورواه أبو داود وابن ماجة القزويني في كتابيهما، وأيضاً في الباب الحادي والستين (ص ١٣٠)، والطبقات لمحمد بن سعد الزهري البصري في الرابع (ص ٨)، والحلية لأبي نعيم

(٢٨) حديث الثقلين/إصدار دار التقريب/ص ٦ـ٩.

الاصبهاني (ج ١/ص ٣٥٥)، وأسد الغابة لابن الأثير الجزري في (ج ٢/ص ١٢)، وفي (ج ٣/ص ١٤٧)، والعقد الفريد لابن عبد ربه القرطبي في الجزء الثاني في خطبة النبي(ص) في حجّة الوداع (ص ٣٤٦ وص ١٥٨)، وتذكرة الخواص في الباب الثاني عشر (ص ٣٣٢) لابن الجوزي، قال بعد نقل قول جدّه: (وقد أخرجه أبو داود في سننه والترمذي أيضاً وذكره رزين في الجمع بين الصحاح)، والعجب كيف خفي عن جدي ما روى مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم ...الخ، وانسان العيون لنور الدين الحلبي الشافعي (ج ٣/ص ٣٠٨)، وذخائر العقبى لأحمد بن عبدالله الطبري (ص ١٦)، والسراج المنير للعزيزي الشافعي في شرح الجامع الصغير للسيوطي (ج ١/ ص ٣٢١)، وفي هامشه أيضاً للشيخ محمد الحنفي، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي (ص ٢)، ونسيم الرياض لشهاب الدين الخفاجي (ج ٣/ص ٤١٠)، وفي هامشه شرح الشفا لعلي القاري، ومنتخب كنز العمّال للمتقي على هامش المسند للامام أحمد بن حنبل (ج ١/ص ٩٦ و١٠١)، و(ج ٢/ص ٣٩٠)، و(ج ٥/٩٥)، والكشف والبيان للثعلبي في تفسير آية الاعتصام (ج ٣/ص ١٨)، وتفسير النظام للنيسابوري في تفسير آية الاعتصام (ج ١/ص ٢٥٧)، و(ج ٤) في تفسير آية المودة/ص ٩٤، وأيضاً في تفسير آية (سنفرغ لكم أيها الثقلان) (ص ٢١٢)، وابن كثير الدمشقي في تفسير آية المودة (ج ٤/ص ١١٣)، وفي آية التطهير (ج ٣/ص ٤٨٥)، وأيضاً في تاريخه في (ج ٥) أو (ج ٦) ضمن حديث الغدير، والمواهب العلية لحسين الكاشفي في تفسير آية (سنفرغ لكم أيها الثقلان)، والنهاية لابن الأثير الجزري في (ج ١)، وأيضاً في الدرّ المنثور للسيوطي (ص ١٥٥)، ولسان العرب لجمال الدين الأفريقي المصري في (ج ٦) في لغة العترة، وفي (ج ١٣) في لغة الثقل والحبل والقاموس لمجد الدين

الشيرازي في لغة ثقل، ومنتهى الأرب لعبد الرحيم الصفي في لغة الثقل، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي في (ج ٦) في معنى العترة (ص ١٣٠)، ومدارج النبوة لعبد الحق الدهلوي (ص ٥٢٠) والمناقب المرتضوية لمحمد صالح الترمذي الكشفي (ص ٩٦ و ١٠٠ و ٤٧٢)، ومفتاح كنوز السنة (ص ٢ و ٤٤٨)، ومصابيح السنة للامام البغوي الشافعي (ج ٢/ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦)، وابن حجر في الصواعق (ص ٧٥ و ٨٧ و ٩٩ و ٩٠ و ١٣٦)، وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار للشبلنجي (ص ١١٠)، وينابيع المودّة لسليمان بن ابراهيم البلخي الحنفي (ص ١٨ و ٢٥ و ٣٠ و ٣٢ و ٣٤ و ١١٥ و ١٢٦ و ١٩٩ و ٢٣٠ و ٢٣٨ و ٣٠١)، والعلّامة الكبير شمس سماء العلم والجلالة ومجدّد مذهب الامامية، السيد مير حامد حسين الهندي، أعلى اللّه مقامه، قد رواه عن جماعة تقرب من المائتين من أكابر علماء المذاهب من المائة الثانية الى المائة الثالثة عشرة، وعن الصحابة والصحابيات، أكثر من ثلاثين رجلاً وإمرأة كلّهم رووا هذا الحديث الشريف عن النبي (ص)[٢٩]، وفي هذا الحديث:ـ

١ـ يجعل رسول اللّه (ص) أهل بيته صنوا للقرآن لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض يوم القيامة.

٢ـ ويعتبر التمسّك بهما عاصمًا من الضلال.

٣ـ ويوصي المسلمين بالتمسّك والاعتصام بهما.

٤ـ ويوصيهم أن لا يعلّموهم ولا يسبقوهم في قول أو فعل فانهما أعلم منهم.

وفي بعض ذلك كفاية في الدلالة على عصمة أهل البيت (ع)، وفي اثبات

(٢٩) نقلنا أكثر هذا المصادر عن كتاب الغدير/للعلّامة الأميني.

خلافتهم لرسول الله وإلزام المسلمين بالرجوع إليهم عليهم السلام في الحلال والحرام، وفي حدود الله تعالى وأحكامه.

٢ـ حديث السفينة:

عن حنش الكناني، قال: سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ باب الكعبة: أيها الناس من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله (ص) يقول:

(مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق).

قال الحاكم في مستدرك الصحيحين (ج ٢/ص ٣٤٣): هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ورواه الحاكم أيضاً في (ج ٣/ص ١٥٠) عن طريق حنش أيضاً. وأخرجه المتقي في كنز العمال بنفس الطريق (ج ٦/ص ٢١٦)، وأخرجه الهيثمي في المجمع (ج ٩/ص ١٦٨)، وأخرج الحديث في حلية الأولياء (ج ٤/ص ٣٠٦) بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وأخرجه بنفس الطريق الهيثمي في المجمع (ج ٩/ص ١٦٨)، وأخرجه المحب في الذخائر (ص ٢٠) بنفس الطريق، والمتقي في كنز العمال (ج ٦/ص ٢١٦)، وأخرج الخطيب البغدادي الحديث عن طريق أنس بن مالك في تاريخه (ج ١٢/ص ١٩). وأخرج الحديث السيوطي في الدرّ المنثور في تفسير قوله تعالى ﴿واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجّداً وقولوا حطّة نغفر لكم خطاياكم﴾ عن طريق ابن أبي شيبة عن علي بن أبي طالب (ع). وأخرجه عن طريق علي بن أبي طالب في كنز العمال (ج ٦/ص ٢٥٠)، وأيضاً في (ج ٦/ص ٢١٦). وأخرجه الهيثمي في المجمع (ج ٩/ص ١٦٨) عن طريق أبي سعيد الخدري. وأخرجه المحب الطبري في ذخائر العقبى (ج ٢٠) عن علي(ع)، كما أخرجه المناوي في كنوز

الحقائق (ص ١٣٢)[٣٠]

٣ـ حديث مدينة العلم:

عن حذيفة عن علي (ع) مرفوعاً الى رسول الله(ص):

(أنا مدينة العلم وأنت بابها، كذب من زعم أنه يصل الى المدينة إلّا من قبل الباب).

وعن الحرث وعاصم عن علي (ع) مرفوعاً الى رسول الله(ص):

(أنا مدينة العلم وعلي بابها، ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها).

وفي لفظ له (ص):

(أنا مدينة العلم وأنت بابها، كذب من زعم أنه يدخل المدينة إلّا من قبل الباب).

وعن ابن عباس عن رسول الله(ص):

(أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت بابه)[٣١].

روى الحديث الحاكم في المستدرك (ج ٣/ص ١٢٦ و١٢٧ و١٢٨)، وابن كثير في تاريخه (ج ٣/ص ٣٥٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (ج ٢/ص ٣٧٧)، والذهبي في التذكرة (ج ٤/ص ٢٨)، والخوارزمي في المناقب (ص ٤٩)، وابن الأثير الجزري أخرجه في أسد الغابة (ج ٤/ص ٢٢)، ومحمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول (ص ٢٢)، وسبط ابن الجوزي في التذكرة (ص ٢٩)، والكنجي الشافعي في الكفاية (ص ٩٨ ـ ١٠٢)، والمحب الطبري في الرياض النضرة (ج ١/ص ١٩٢)،

---

(٣٠) روينا الرواية بالأسانيد المتقدمة من كتاب فضائل الخمسة في الصحاح الستة/للسيد مرتضى الفيروز آبادي/(ج٢/ص ٥٦ـ٥٨).

(٣١) الغدير/(ج٦/ص ٧٩).

وذخائر العقبى (ص ٧٧)، والحافظ شمس الدين بن أحمد الذهبي ذكره في تذكرة الحفاظ (ج ٤/ص ٢٨)، ثم قال هذا الحديث صحيح، والهيثمي في مجمع الزوائد (ص ١١٤)، وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب (ج ٧/ص ٣٣٧)، وقال في لسان الميزان: هذا الحديث له طرق كثيرة في مستدرك الحاكم أقل أحوالها أن يكون للحديث أصل، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة (ص ١٨)، وبدر الدين محمود بن أحمد الحنفي في عمدة القارئ (ج٧/ ص٦٣)، والسيوطي في الجامع الصغير (ج ١/ص ٣٧٤)[٣٢].

وصحح الحديث نفر من أئمة الحديث ذكرهم الشيخ عبدالحسين الأميني في الغدير[٣٣].

وهناك أحاديث أخرى بهذا المضمون وردت عن رسول الله(ص) ذكرها الحجّة المجاهد الشيخ عبدالحسين الأميني في الغدير[٣٤]، ننقلها عنه:

عن رسول الله(ص): (أنا دار الحكمة وعلي بابها)[٣٥].

وعنه (ص): (أنا دار العلم وعلي بابها)[٣٦].

---

(٣٢) نقلنا هذه المصادر عن كتاب الغدير/(ج٦/ص ٦١-٧٧)، ويحسن مراجعة هذا الكتاب للوقوف على مصادر الحديث الكثيرة في كتب الحديث.

(٣٣) الغدير/(ج٦/ص ٧٨).

(٣٤) الغدير/(ج٦/ص ٨٠).

(٣٥) أخرجها الترمذي في جامعه الصحيح/(ج٢/ص ٢١٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء/(ج١/ص ٦٤)، والبغوي في مصابيح السنة/(ج٢/ص ٢٧٥)، وجمع آخر تربو عدّتهم على ستين من الحفّاظ وأئمة الحديث/الغدير/(ج٦/ص ٨٠).

(٣٦) أخرجه البغوي في مصابيح السنة، كما ذكره الطبري في ذخائر العقبى/ص ٧٧، وآخرون/الغدير/(ج٦/ص ٨٠).

وعنه (ص): (أنا ميزان العلم وعلي كفتاه)[٣٧].

وعنه (ص): (علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي)[٣٨].

عن رسول الله(ص): (يا أم سلمة اشهدي واسمعي هذا علي أمير المؤمنين وسيد المسلمين وعيبة علمي (وعاء علمي) وبابي الذي أوتى منه)[٣٩].

قال المناوي في فيض الغدير (ج ٤/ص ٣٥٦): (علي عيبة علمي: أي مظنّة استفصاحي وخاصّتي وموضع سرّي ومعدن نفائسي، والعيبة ما يحرز الرّجل فيه نفائسه).

قال ابن دريد: (وهذا من كلامه الموجز الذي لم يسبق ضرب المثل به في إرادة اختصاصه بأموره الباطنة التي لا يطلع عليها أحد غيره، وذلك غاية في مدح علي)[٤٠].

وفي هذه الطائفة من الأحاديث: (أن علياً باب علمه، ولا شك أن من يريد الدخول الى البيت، فلا بدّ أن يأتيه من بابه ﴿ولا تؤتوا البيوت إلّا من أبوابها﴾. وأن علياً عيبة علمه (ص)، ووعاء علمه. ثم يأمر (ص) الأمة أن

---

(٣٧) أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار مسنداً عن ابن عباس مرفوعاً، وتبعه جمع ونقلوه عنه كالعجلوني في كشف الخفا/(ج١/ص ٢٠٤) وغيره/الغدير (ج٦/ص ٨٠).

(٣٨) أخرجه المتقي في كنز العمال/(ج٦/ص ١٥٦)، والكنز الجلي في فضائل علي/للسيوطي، جعله الحديث الثامن والثلاثين من الكتاب/الغدير/(ج٦/ص ٨٠).

(٣٩) أخرجه أبو نعيم والخوارزمي في المناقب، والرافعي في التدوين، والكنجي في المناقب، والحموي في فرائد السمطين، والشيخ محمد الحنفي في شرح الجامع الصغير/الغدير/(ج٦/ص ٨٠-٨١).

(٤٠) الغدير/(ج٦/ص ٨١).

يأخذوا علمه (ص) وسنّته (ص) من علي).

وبعض ذلك يكفي لمن ألقى السمع وهو شهيد، وهو يدل دلالة واضحة على أن رسول اللّه(ص) قد عيّن من بعده أهل بيته مصدراً يأخذون الناس عنهم دين اللّه وسنة رسوله(ص).

٤ـ أحاديث أخرى:

قال (ص):

(النجـوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فاذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا وصاروا حزب إبليس)[٤١].

قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد.

وقال (ص):

(علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[٤٢].

وقال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد.

وروى الحاكم في المستدرك عن زيد بن أرقم قال: قال رسول اللّه(ص):

(من أراد أن يحيا حياتي، ويمـوت موتي، ويسكن جنّة الخلد التي وعـدني ربي، فليتـول علي بن أبي طالب فانه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة)[٤٣].

قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسانيد.

وأخرج الطبراني في الكبير والرافعي في مسنده عن ابن عباس قال:

---

(٤١) مستدرك الصحيحين/(ج٣/ص ١٤٩).

(٤٢) مستدرك الصحيحين/(ج٣/ص ١٢٤).

(٤٣) مستدرك الصحيحين/(ج٣/ص ١٢٨)، ونقله الإمام شرف الدين في المراجعات/ص ٢٧. عن كنز العمّال حديث رقم (٢٥٧٧).

قال رسول اللّه(ص):

(من سرّه أن يحيى حياتي، ويموت موتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربي، فليوال علياً من بعدي وليوال وليّه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم اللّه شفاعتي)[٤٤].

وأخــرج البـارودي وابن جرير وابن شاهـين وابن منده عن طريق اسحاق عن زيد بن مطرق قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول:

(من أحب أن يحيى حياتي، ويموت ميتتي، ويدخل الجنة التي وعدني ربي وهي جنة الخلد، فليوال علياً وذريّته من بعده فانهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم باب ضلالة)[٤٥].

وقال (ص):

(في كل خلف من أمتي عدول من أهـل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ألا وأن أئمتكم وفدكم الى اللّه فانظروا من توفدون)[٤٦].

وهذا غيض من فيض في الأحاديث الواردة عن رسول اللّه (ص) في

(٤٤) رواه الإمام شرف الدين في المراجعات، وقال: هذا الحديث بعين لفظه هو الحديث (٣٨١٩) من أحاديث الكنز في آخر ص ٢١٧ من جزئه ٦، وقد أورده في منتخب الكنز أيضاً، وأخرجه الحافظ أبو نعيم في حليته، ونقله عنه علاّمة المعتزلة في ص ٤٥٠ من المجلّد الثاني من شرح النهج طبع مصر، ونقل نحوه في ص ٤٤٩، عن أبي عبداللّه أحمد بن حنبل في كل من مسنده وكتاب مناقب علي بن أبي طالب (ع).

(٤٥) رواه الإمام شرف الدين في المراجعات/ص ٢٦، وقال: وهذا الحديث هو الحديث (٢٥٧٨) من أحاديث الكنز في ص ١٥٥ من جزئه ٦، وأورده في المنتخب أيضاً.

(٤٦) كما رواه الإمام شرف الدين عن سيرة الملاّ والصواعق المحرقة/ص ٩٠.

أهل بيته (ع)، وتعيينهم أئمة ومراجع للناس في الحلال والحرام وفي حدود اللّه تعالى وسنة رسوله من بعده (ص).

إعداد علي (ع) للامامة:

وكما كان رسول اللّه(ص) يحرص على اعداد الأمة لقبول أهل بيته أئمة من بعده يرجعون إليهم في معرفة حدود الله تعالى وأحكامه ولمعرفة الحلال والحرام.

كذلك كان رسول اللّه(ص) يحرص على اعداد علي (ع) من أهل بيته للقيام بهذه المهمة من بعده.

فكان (ص) يخص علياً بكثير من رعايته وعنايته، ربّاه في بيته، وتولى (ص) تربيته بنفسه، فنشأ على يد رسول اللّه (ص) منذ نعومة أظفاره، وكان أول من آمن به واقتدى به.

وخصه (ص) من رعايته وعنايته واهتمامه مالم يخص به أحداً من أصحابه، وأفضل من يصف علاقة رسول اللّه (ص) به واهتمامه (ص) بتربيته واعداده إماماً للمسلمين هو (ع).

يقول في خطبته المعروفة بالقاصعة:

(وقد علمتم موضعي من رسول اللّه (ص) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد يضمّني الى صدره ويكنفني فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد كنت أتّبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به، وقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع في بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول اللّه (ص) وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي وأشمّ ريح

النبوة)[٤٧].

ومما تقدّم من أحاديث رسول اللّه (ص) في أهل بيته، وهو غيض من فيض كما قلنا من أحاديث رسول اللّه (ص) في اهل البيت (ع) نجد أن رسول اللّه (ص) لم يشغله شيء عن العناية بمستقبل الدعوة والدين وأنه (ص) كان قد أعدّ علياً (ع) من بعده ليحمل الى المسلمين ميراث النبوة من علم الشريعة وحدود اللّه.

وفي بعض ماتقدم من أحاديث صحيحة وصريحة عن رسول اللّه(ص) كفاية في أنه كان يوجّه الناس الى الرجوع من بعده في أمر الدين وفي معرفة حدود اللّه الى أهل بيته، وأنه (ص) كان يعدّ علياً(ع) لهذا الغرض.

ولنستمع الى الامام علي (ع) يحدّثنا بحديث ذي شجون عمّا جرى لسنة رسول اللّه (ص) وحديثه من بعده وعن علم رسول اللّه(ص) وعمّن تحمل ميراث النبوة من بعده (ص)، وتقييم ما في أيدي الناس من الحديث النبوي، وأن فيه الحق الـذي قاله رسول اللّه (ص)، والباطل الذي افترى عليه، والصـدق الذي نطق به، والكذب الذي وضعه المنافقون والكذّابون عليه (ص)، يقول عليه السلام:

(ان في أيدي النـاس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذّب على رسول اللّه(ص) على عهده حتى قام خطيباً فقال:

«أيّهـا النّاس قد كثُرت علي الكذّابة فمن كذّب علي متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار» ثمّ كذّب عليه من بعده، وإنّما أتاكم الحديث من أربعة ليس لهم خامس:

---

(٤٧) نهج البلاغة/ص ٣٠٠_٣٠١.

رجل منافق يظهر الايمان متصنع بالاسلام، لا يتأثم ولا يتحرّج أن يكذب على رسول اللّه(ص) متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه، ولم يصدّقوه، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول اللّه(ص) ورآه وسمع منه وأخذوا عنه، وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبره اللّه عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم، فقال عزّ وجلّ: ﴿واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، وان يقولوا تسمع لقولهم﴾، ثم بقوا بعده فتقربوا الى أئمة الضلال والدعاة الى النار بالزور والكذب والبهتان، فولّوهم الأعمال وحمّلوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا إلاّ من عصم اللّه فهذا أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول اللّه(ص) شيئاً لم يحمله على وجهه ووهم فيه، ولم يتعمد كذباً فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه، فيقول: أنا سمعته من رسول اللّه(ص) فلو علم المسلمون أنه وهم لم يقبلوه، ولو علم هو أنه وهم لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول اللّه(ص) شيئاً أمر به ثم نهى عنه، وهو لا يعلم أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم أنّه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون اذ سمعوه منه أنّه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على رسول اللّه(ص) مبغض للكذب خوفاً من اللّه وتعظيماً لرسول اللّه(ص) لم ينسه، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه وعلم الناسخ من المنسوخ فعلم بالناسخ ورفض المنسوخ، فإنّ أمر النبي (ص) مثل القرآن ناسخ ومنسوخ (وخاص وعام)، ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول اللّه الكلام له وجهان: كلام عام، وكلام خاص، مثل القرآن، وقال اللّه عزّ وجلّ في كتابه: ﴿ما آتاكم الرسول

فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾. فيشتبه على من لم يعرف ولم يدر ماعنى الله به ورسوله(ص). وليس كل أصحاب رسول الله(ص) كان يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه، حتى ان كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطارئ فيسأل رسول الله(ص) حتى يسمعوا.

وقد كنت أدخل على رسول الله(ص) كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة، فيخليني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله(ص) أنه لم يصنع ذلك بأحد غيري، فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله(ص) أكثر ذلك في بيتي، وكنت اذا دخلت عليه بعض منازله أخلاني، وأقام عني نسائه، فلا يبقى عنده غيري واذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني وكنت اذا سألته أجابني واذا سكتّ عنه وفنيت مسائلي ابتدأني فما نزلت على رسول الله(ص) آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطّي وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصّها ودعا الله أن يعطيني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه علي وكتبته منذ دعا الله لي بما دعا وما ترك شيئاً علّمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولانهي كان أو يكون، ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلّا علمنيه وحفظته فلم أنس حرفاً واحداً، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يانبيّ الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتتخوف علي النسيان فيما بعد؟ فقال: لا لست أتخوّف عليك النسيان والجهل).

ذلك استعراض موجز لجانب من التخطيط النبوي لاعداد أهل البيت(ع) ليكونوا من بعده (ص) مرجعاً للناس في دينهم وفي معرفة الحلال والحرام، واستعراض لطرف من الأحاديث والمواقف التي اتخذها رسول

الله(ص) لاعداد الأمة للتسليم بإمامة أهل البيت(ع)، والرجوع اليهم بعد وفاته (ص) في معرفة سنة رسول الله(ص) وحديثه.

فهو (ص) حيناً يقرن أهل بيته(ع) بالقرآن، ويقول: (أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)، ويعتبر الاعتصام بهما عاصماً من الخطأ والانحراف.

وحيناً آخر يمثّلهم بسفينة نوح(ع) تعصم من ركبها، ويغرق من تخلّف عنها، ولا يجد من دونها عاصماً.

وطوراً آخر يمثّلهم بالنجوم أماناً لأمته من الغرق والضياع والتيه، وغيره كثير من الأحاديث التي لسنا بصدد استعراضها وشرحها هنا.

إستمرار تبليغ الأحكام بعد رسول الله(ص):

من هذا المنطلق نحن نعتقد، أنّ تبليغ الأحكام الالهية لم ينقطع بوفاة رسول الله(ص) وإنّما استمر تبليغ السنة النبوية من بعد وفاته(ص) على يد أهل بيته من بعده وأعلن ذلك في أكثر من مناسبة وموقف على المسلمين وبتعابير مختلفة، لا تدع مجالاً للشك، ولو أنّ الانسان أنصف في تحليل وتفسير هذه الأحاديث واستطاع أن يتخلّص من الرواسب المذهبية والتاريخية التي تشدّه الى إطار خاص، لم يشك في أنّ رسول الله(ص) كان يعدّ الأمة من بعده للتسليم بإمامة أهل بيته، وكان يعدّ علياً ومن بعده أهل بيته لاستلام إمامة المسلمين في أمور الدين ومن الحلال والحرام.

وقد استعرضنا طرفاً من هذه الأحاديث وتركنا استعراض عامتها الى الكتب المفصلة في هذا الموضوع[٤٨].

(٤٨) يحسن مراجعة (عبقات الأنوار)/للسيد مير حامد حسين، و(الغدير)/للمرحوم الشيخ عبدالحسين الأميني، و(المراجعات)/للمرحوم السيد شرف الدين، و(دلائل الصدق) للشيخ محمد حسن المظفّر، و(إحقاق الحق)/للقاضي نور الله التستري.

آية الإكمال:

ونعتقد أنّ قوله تعالى:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً﴾.

نزلت في هذا الأمر بالذات، أي في أمر تعيين أهل البيت(ع) أئمة للدين ومراجع للمسلمين في أمور دينهم بعد رسول الله(ص).

فقد نزلت هذه الآية بعدما بلغ رسول الله(ص) المسلمين بأمر من الله تعالى ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين(ع) وإمامته للمسلمين من بعد وفاته (ص) في يوم غدير (خم).

فنزلت هذه الآية الكريمة تشير الى أنّ الله تعالى قد أكمل دينه لعباده، وأتمّ نعمته تعالى عليهم بنصب علي ومن بعده سائر أهل بيته(ع) أئمة ومراجع لهم في الدين يأخذون عنهم دين الله وسنة رسول الله(ص) وما اشتبه عليهم من حدود الله، وما لم يعرفوا تأويله من المتشابه من كتاب الله، ويستمر بهم تبليغ السنة النبوية فلا تنقطع سنة رسول الله(ص) وحديثه بوفاته[٤٩].

---

(٤٩) وقد صرّح عدد غير قليل من المفسّرين والمحدّثين بنزول هذه الآية بعد نصب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) للامامة في غدير خم، وتعيين رسول الله (ص) الكتاب والعترة من بعده مرجعين للمسلمين لا يضلّون بعدهما، كما في بلاغ يوم الغدير.. ومن هؤلاء المحدّثين الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل/ص ١٥٧.

عن أبي سعيد الخدري أنّ رسول الله (ص) لمّا نزلت عليه هذه الآية «اليوم أكملت لكم دينكم» قال: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي، ثم قال: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله).

ورواه أيضاً بأسانيد أخرى في ص ١٥٧_١٥٨ من شواهد التنزيل، وروى الحاكم

عصمة أهل البيت (ع) ونفي الاجتهاد عنهم:

فالأئمـة من أهل البيت(ع) إذن ليس شأنهم شأن سائر المجتهدين والفقهاء، يخطؤون حيناً ويصيبون حيناً، وإنّما عيّنهم رسول اللّه(ص) من بعده مصدراً لتبليغ حديثه وسنته، ومرجعاً في الدين يبلّغون أحكام اللّه تعالى وسنة رسول اللّه(ص) من غير سهو أو خطأ أو شك أو ترديد، كما كان رسول اللّه(ص) يبلغ أحكام هذا الدين، ولذلك فمن المسامحة في التعبير أن نقول عن فقههم (مذهب أهل البيت) كما يشيع التعبير عنه، فأن كلمة (المذهب) تشير الى اتجاه في فهم الدين يدخل فيه عنصر الاجتهاد والرأي، وليس عند الأئمة من آل البيت(ع) رأي أو اجتهاد في الدين ولا يتكلمون عن ظن، وإنّما يفتـون في أحكام اللّه تعالى وحدوده عن يقين وبصيرة بما أفتى به رسول اللّه(ص)، وخصّهم به من علم، وسوف نرى في هذا البحث إن شاء اللّه أنّ أحـاديثهم لا تتجـاوز حديث رسـول اللّه(ص) وفتاواهم هي سنة رسول

أيضاً بسند عن أبي هريرة في صوم يوم غدير خم. قال: لّما أخذ النبي بيد علي، فقال (ص): ألست أولى بالمؤمنين. قالوا: بلى يارسول اللّه. فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه). فقـال عمر بن الخطّاب: بخ، بخ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي، ومولى كلّ مؤمن، وأنزل اللّه: «اليوم أكملت لكم دينكم».

ونقل الشيخ عبدالحسين الأميني في الغدير/(ج١/ص ٢١٠ـ٢١٧)/ط النجف، الأحاديث الواردة في نزول آية الإكمال في علي (ع)، عن ستة عشر مصدراً، منها الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد/(ج٨/ص ٢٩٠)، وابن المغازلي الشافعي ذكره في العمدة/ ص ٥٢، والخوارزمي في المناقب/ص ٨٠، ٩٤، وسبط ابن الجوزي في التذكرة/ ص ١٨، وشيخ الإسلام الحمويني الشافعي في فرائد السمطين. كما روى نزول هذه الآية الكريمة في علي (ع) عندما نصّبه اللّه إماماً على المسلمين عامة، المفسّرين والمحدّثين من الشيعة بغير استثناء.

الله(ص) ينقلونها الى المسلمين.

وهذا هو معنى (العصمة في التبليغ) التي بها يمتاز أئمة أهل البيت(ع) من سائر العلماء وفقهاء المسلمين.

فالعلماء والفقهاء يفتون الفتوى، ويرون الرأي بعد بذل ما بمقدورهم من الجهد في استنباط حكم الله تعالى، فيصيبون حيناً ويخطؤون آخر، وليس رأيهم بمعصوم عن الخطأ والزلل، ولا يدعون هم لأنفسهم هذه الصفة بحال من الأحوال.

أما الأئمة من أهل البيت(ع) فليس لهم من رأي، وإنّما ينقلون إلينا حكم الله تعالى بما آتاهم الله من علم، وبما فتح الله عليهم من أبواب فهم كتاب الله وسنة رسول الله(ص)، فلا يخطؤون في حكم الله، ولا يفتون بغير علم، ويقومون من استقام بهم ويعصمون من اعتصم بهم من الخطأ والزلل، وهو معنى قوله (ص) في حديث الثقلين الذي سبقت الاشارة اليه:

(يا أيّها النّاس إنّي تارك فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي).

آية التطهير

﴿إنّما يريد اللهُ ليذهب عنكم الرّجس أهلَ البيت ويطهّركم تطهيراً﴾

وسـوف نستعـرض الأبحاث المتعلّقة بهذه الآية الكريمة من خلال مفردات الآية المباركة واحدة بعد أخرى.

﴿إنّما﴾

الآية الكريمة مصدرة بكلمة (إنّما) وهي من أقوى أدوات الحصر في اللغة العربية، وتفيد هذه الكلمة اثبات ما بعدها، ونفي ما عداه. كما تقول: (إنّما الفقيه علي) فيكون معناه اثبات الفقه لعلي ونفيه عن غيره.

قال ابن منظور في لسان العرب: (ومعنى إنّما إثبات لما يذكر بعدها، ونفي لما سواه كقوله: وإنّما يدافع عن أحسابهم أنا ومثلي. المعنى ما يدافع عن احسابهم إلاّ أنا أو مثلي)[50].

فاذن للحصـر في اللّغة مدلول إيجابي وآخر سلبي، ولا يتم معناه إلاّ بهاتين الدلالتين معاً.

فيكون معنى الآية الكريمة إذن في ضوء هذا التحديد إثبات التطهير لأهل البيت بإرادة الله، ونفي أن يكون الله تعالى قد أراد تطهير غيرهم وقت نزول هذه الآية.

---

(٥٠) لسان العرب/(ج١٣/ص ٣١) دار صادر/بيروت.

وهذا كلّه واضح لا لبس فيه لمن أنس اسلوب العرب في الكلام، وعرف أصول اللغة وقواعدها.

توجيه الرازي للآية الكريمة:

وفي محاولة لصرف الآية عن هذا المعنى يقول الرازي في تفسيره الكبير[٥١] في تفسير هذه الآية: (يعني ليس المنتفع بتكليفكن هو اللّه، ولا تنفعن اللّه بما تأتين به، وإنّما نفعه لكنّ وأمره تعالى إيّاكنّ لمصلحتكن).

وهو كلام غريب في تغيير جهة مسار الآية الكريمة وتغيير جهة الحصر فيها.

فليس من شك أنّ الآيات السابقة على هذه الآية في خصوص أمهات المؤمنين زوجات رسول اللّه(ص) والخطاب متوجه فيها إليهن خاصة، ومما لا شك أيضاً أنّ أمهات المؤمنين إن لم يكنّ خارجات من خطاب أهل البيت في هذه الآية الكريمة بموجب الروايات الواردة في هذه الآية الكريمة كما يأتي، فلسن المعنيات بالخصوص من كلمة أهل البيت، وذلك بدليل الأحاديث المتواترة والصحيحة التي سوف نستعرض طرفاً منها، والتي تنصّ بدخول علي(ع) والزهراء والحسن والحسين في أهل البيت، وبدليل تذكير الضمائر في الخطاب في هذه الآية بالذات بخلاف ما قبلها وما بعدها من الآيات المقرونة بضمائر التأنيث.

ولا أذكر أنّ أحداً من المفسّرين والمحدّثين يذهب الى اختصاص هذه الآية بزوجات النبيّ(ص) عدا عكرمة، كما سوف يمر علينا في هذا البحث وفي غالب الظن أنّ عكرمة أيضاً لا يقصد اختصاص الخطاب في هذه الآية بزوجات النبيّ(ص)، وإنّما يعني دخول أمهات المؤمنين في خطاب هذه الآية

---

(٥١) التفسير الكبير للرازي/(ج٢٥/ص ٢٠٩).

وفي كلمة أهل البيت.

وبـذلـك لا يبقى وجه لما يراه الرازي من أنّ الخطاب في هذه الآية استمـرار للخطابات السابقة. بعد أن اتضح أنّ الخطابات السابقة تتعلق بزوجات النبي(ص) خاصة والخطاب في هذه الآية لا يتعلّق بهن بالخصوص، وإنّـما يشملهن وسائر أهل بيت النبيّ(ص) على أكثر التقادير تسالماً مع الرازي ونظرائه.

ومـوقـع الآية الكـريمـة بين طائفتين من الخطابات الخاصة بأمهات المؤمنين، لايشفع لهذا التفسير مطلقاً بعد ظهور اختلاف السياق فيها عن الآيات السابقة عليها والآيات المتأخرة عنها بشكل واضح، وبعد ورود دليل قطعي من أحـاديث صحيحة ومتواترة بدخول غيرهم من آل بيت رسول اللّه(ص) في الخطاب في هذه الآية.

ومع اختلاف المخاطبين في هذه الآية عن سابقتها من حيث العموم والخصوص على أقل التقادير فلا يصحّ تفسير الرازي للآية الكريمة بقوله: (يعني ليس المنتفع بتكليفكنّ هو اللّه، وإنما نفعه لكن) ومحاولة ادخال هذه الآية في سياق الآيات السـابقـة ومضمونها واعتبارها استمراراً للخطابات السابقة في الآيات السابقة المتعلّقة بزوجات النبي (ص).

فاذا كان مقصـود الـرازي من التكليف في قوله: (يعني ليس المنتفع بتكليفكن هو اللّه، وإنّما نفعه لكن): الخطابات السابقة المتعلقة بزوجات النبيّ(ص)، فلا معنى لأن ينتفع بهن غيرهن من آل البيت من رجال الأسرة النبوية ونسائها لأنّ في هذه الخطابات ما لا يعود له نفع إلاّ عليهن خاصة والخـطاب متـوجـه إليهن خاصـة والمفروض أنّ كلمة أهل البيت تعمّهن وغيرهن من أفراد الأسرة النبوية. واذا كان المقصود الغاء خصوصية الخطاب المتوجه إليهن واعتبار هذه الخطابات وما يعمّها من الأواصر الأخرى في هذه

الآية الحاصرة، فلا معنى لحصر الفائدة منها في أهل البيت(ع) خاصة، لانتفاء خصوصية الفائدة وعموم نفعها لأهل البيت(ع) وغيرهم.

على أنّ هذا التفسير يذكره الرازي، خروج على الظاهر المفهوم من الجملة، وفيه من التكلّف والضغط على دلالات الألفاظ ما لا يجوز أن يرتكبها المفسّر إلاّ عندما تستدعي ذلك ضرورة قاسية، وإلاّ فإنّ ظاهر الكلام وسياقه الطبيعي: حصر إرادة التطهير في أهل البيت(ع) فقط، وهو أظهر شيء وأول شيء يتبادر الى الذهن في قوله تعالى: **﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾** وهو كلام عربي مبين، يجري جرياً صافياً واضحاً لا يكاد أن يحوج الانسان الى هذا الالتفاف واللف والدوران.

فالمعنى إذن في ضوء ما تقدم: أنّ اللّه تعالى قد شاء أن يطهّركم أهل البيت، ويذهب عنكم الرجس دون غيركم من الناس، في حين نزول هذه الآية المباركة.

﴿يريد اللّه﴾

من المعروف أنّ إرادة اللّه تعالى تأتي على نحوين (تكوينية) و (تشريعية)، و (التكوينية) هي التي لايمكن أن يحول شيء بين إرادته تعالى وبين مايريد. ولايمكن أن يختلف مراده عن إرادته تعالى، ولا يمكن أن يريد وجود شيء فلا يكون، يقول عزّ شأنه:

﴿إنما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾.

و (التشريعية) هي التي تتخلل إرادة المكلّف واختياره بين إرادته تعالى وما يريده من أعمال المكلّفين، وتتعلّق هذه الارادة دائماً بالأفعال التي شرّعها اللّه تعالى للمكلّفين، كما إنّ متعلّق الارادة التكوينية (الأمور التكوينية).

ولما كانت الارادة التشريعية للّه تعالى مما تتخلل إرادة العبد بينها وبين

ما يريد اللّه تعالى، ولا تتم إلّا بإرادة العبد واختياره. فلا يعزّ في ذلك تخلّف المـراد عن الارادة الالهية. فقـد يستجيب لارادة اللّه تعالى وينفذ مايريد فتتحقق الارادة الالهية، وقد لا يستجيب العبد ـ ويعصي ـ ويخالف ما يريده اللّه تعالى، ولاينفذ مايريده اللّه.

فتكون إرادة العبد واختياره حائلة بين إرادته تعالى وما يريده، وذلك لا لوجود عجز في إرادة اللّه تعالى، وإنّما لأنّ اللّه تعالى يريد تنفيذ إرادته من خلال إرادة العبد واختياره ورغبته.

وهذا التقسيم للارادة يجري في إرادة الانسان أيضاً مع بعض الفـرق، فقد تتعلق إرادة الانسان ببعض الأمور التكوينية. كما لو أراد أن يشرب الماء أو يكتب فيتنـاول الماء، ويشربه، ويتناول القلم ويكتب. وهذه هي الارادة التكوينية. وقد تتعلق إرادته بفعل غيره، بإرادة الغير واختياره، كما لو أراد من ابنه أن يسقيه ماءً أو يكتب. فيطلب منه ذلك. فيستجيب له ابنه أو لا يستجيب. وهذه الارادة هي من النوع الثاني مع بعض الفروق والاختلافات.

وبعد هذا التفصيل والتقييم للارادة، فمن أي قسم من الارادة هذه الارادة التي نحن بصددها في الآية الكريمة: ﴿يريد اللّه﴾.

فهل يجوز أن يكون من (الارادة التشريعية..؟ لا شك انه لو كانت الارادة في الآية الكريمة من الارادة التشريعية وكان معنى ﴿يريد اللّه﴾ أنّ اللّه تعـالى يريد طهـارة أهـل البيت(ع) وذهـاب الـرجس منهم بإرادتهم واختيارهم، فلا تكون الآية الكريمة دالة على عصمتهم في شيء، فليس كلما يريد اللّه تعالى لعباده من طهارة، وعدل، وحق ـ في تشريعه ـ بكائن، وما أكثر ما يريد اللّه تعالى لعباده من خير، فلا يستجيب له عباده. فلا تكون في الآية الكريمة دلالة على عصمتهم بهذا الشكل القطعي الذي نستنتجه نحن

من الآية الكريمة.

إلا أنّ (الارادة التشريعية) هذه لا تنسجم مع كلمة ﴿إنّما﴾ السابقة عليها، بما فيها من دلالة قوية على الحصر. فليس من ريب أنّ إرادة التطهير بمعناها التشريعي لا يمكن ان تكون مقتصرة على أهل البيت خاصة، فإنّ الله تعالى يريد هذا التطهير لكلّ عباده، يقول تعالى:

﴿مايريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهّركم وليتمّ نعمته عليكم لعلّكم تشكرون﴾.

ولا معنى لحصر إرادة التطهير بناء على ذلك في أهل البيت خاصة، ونفيها عمّن سواهم. بما ذكرنا ـ آنفا ـ للحصر من مدلول إيجابي وسلبي.

إذن فلايمكن تفسير الارادة في الآية الكريمة بالتشريعية، ولم يبق إلاّ أن يكون المقصود من الارادة هنا (الارادة التكوينية) خاصة، حتى تستقيم دلالة ﴿إنّما﴾ على معناها وتنسجم مع مابعدها.

استحالة تخلّف المراد عن إرادته تعالى:

واذا صحّ أنّ المقصود من الارادة في الآية الكريمة (الارادة التكوينية) فلا يمكن أن يتخلّف مراده عن إرادته تعالى، ولا يمكن أن يصيبهم عليهم السلام رجس، أو يفارقون الطهارة في حال من الأحوال، وذلك أنّ من البديهيات التي لا يشك فيها مسلم استحالة تخلّف المراد عن إرادته تعالى:

﴿إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾.

فيستحيل أن يصدر عنهم رجس، أو تفارقهم الطهارة كما ذكرنا.

وهذا المعنى من الارادة ينسجم مع الحصر الذي تفيده كلمة ﴿إنّما﴾، ويصحّ الايجاب، كما يصحّ السلب أيضاً، ولا يلزم من ذلك المحذور الذي ذكرناه فيما لو كانت الارادة تشريعية.

فتجب الطهارة لأهل البيت(ع)، ويمتنع عليهم الرجس بحكم هذه

الآية الكريمة.

شبهة انعدام الاختيار في المعصومية:

وقد يثير أحد أنّ تفسير الارادة بهذا النحو يؤدي الى انعدام حالة الاختيار في أهل البيت(ع)، اذ المفروض أنّ الارادة التكوينية هي التي لايتوسط فيها اختيار المكلّف بين إرادة اللّه تعالى و مايريد من تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم عليهم السلام.

والجواب عن هذه الشبهة يتضح بايضاح معنى العصمة. فإنّ هذه الشبهة لا تخصّ أهل البيت عليهم السلام، وإنّما تعمّ الأنبياء عليهم السلام.

ومايرد على عصمة أهل البيت عليهم السلام من اعتراض يرد على عصمة الأنبياء عليهم السلام أيضاً، ولاشك في عصمة الأنبياء ولو في بعض النواحي، على نحو الاجمال.

إذن فلننقل الحديث الى أصل موضوع العصمة بشكل عام: لا شك أنّ العصمة تعني استحالة صدور الذنب والخلاف من المعصوم، إلّا أنّ هذه الاستحالة تأتي نتيجة تربية خاصة. وتصعيد لقوة الارادة وضبط للنفس، وتأييد من اللّه تعالى وإمداد منه سبحانه، لعبده، قبل ذلك كلّه، بدرجة يستحيل معها صدور الذنب والخلاف من العبد، وليس معنى العصمة: انعدام الارادة والاختيار في سلوك الانسان، وإنّما معناها تصعيد الارادة وتكاملها بدرجة يستحيل معها صدور الذنب ومخالفة اللّه واتباع الهوى من الانسان.

ولنضرب على ذلك مثلاً يقرّب إلينا المقصود:

كلّ واحد منّا يتمتع بدرجة من العصمة، وتختلف مساحة (العصمة) من شخص الى آخر، باختلاف تربيته ومعاناته مع نفسه ـ وقوة ارادته ـ وقدرته على مخالفة الهوى وضبط النفس، ودرجة تهذيب النفس.

فيستحيل على الأم مثلاً أن تقتل أولادها بيدها. ولا يمكن أن نتصور أنّ أمّاً تقدم على قتل أولادها بيدها، مهما غضبت الأم من أطفالها، وهذه الدرجة من العصمة موجودة في الأعم الأغلب في الأمهات (غير الحالات الاستثنائية والمرضية).

وهذه العصمة، تتم بارادة الله تعالى التكوينية، بما أودع في قلب الأم من عاطفة ورحمة تجاه أولادها، إلاّ أنّ ذلك لا يعني إطلاقاً انعدام الارادة في الأم، وصدور هذ الرحمة عنها من غير إرادة واختيار. ويستحيل على كثيرين من النـاس ـ مثلاً ـ قتل النفس المحرّمة، عمداً لأسباب تافهة جزئية، او خلاف في حقّ أو جدال في رأي، بينما لا يملك السفّاحون من الناس هذه الدرجة من العصمة. أما عامة الناس فيستحيل في حقهم الاقدام على جريمة القتل بسبب تافه جزئي، بكل ماتحمل الاستحالة من معنى.

ونرتفع درجة أخرى على هذا السلم البشري في السلوك، فنجد أنّ طائفة كبيرة من الناس، يعيشون على مستوى أعلى من هذا المستوى العام، فيستحيل في حقهم الاعتداء على الآخرين بظلم مجحف، مثل قطع أرزاق الناس ومحاربتهم في معاشهم، وإلقائهم في السجون، واضطهادهم وتعذيبهم، لاختلاف جزئي في حقّ أو رأي، بينما يمارس آخرون هذا النحو من السلوك من غير تحرّج ولأسباب جزئية.

وهـذه درجـة من العصمـة أعـلى من سابقتها، ومساحة من العصمة السلوكية أوسع من المساحة السابقة، ولاشك أنها تأتي نتيجة لتربية أقوى للمحافظة على يقظة الضمير وسلامة النفس وتهذيبها.

واذا ارتفعنا على هذا السلم درجة ثالثة نجد أناساً يستحيل في حقهم أن يظلموا آخرين بكلام فاحش بذيء بمرأى من الناس ومسمع أو حتى الدخول في سباب صاخب بذيء وذلك يدلّ على درجة أسمى من التربية

ومعاناة النفس وضبطها وتهذيبها، ومكانة اجتماعية خاصة ومؤثرات اجتماعية وتربوية تفرض على الانسان هذا السلوك المعين، بمحض إرادته واختياره.

ونصعد درجة أخرى لنرى طائفة من الناس آتاهم اللّه حظاً واسعاً من الدين، وهيّأ لهم تربية صالحة، وأيدهم بروحه وفضله، يستحيل في حقهم أن يسببوا أي أذى لمؤمن حتى لو تكون إشارة مؤذية عابرة أو غيبة أونميمة بسيطة، وهذه الطائفة وإن قلّت، لكنها موجودة فعلاً، ويستحيل في حقهم صدور أي ظلم أو أذى للمؤمنين، كما يستحيل في حق غالب الناس أن يرتكبوا جريمة القتل من دون سبب، أو سبب تافه لا قيمة له كما يقدم عليها الطغاة السفّاحون في الحرب والسلم.

وليس من شك أنّ الانسان يرتقي هذا السلم الصعودي لدرجات العصمة، وفي كل درجة يستحيل في حقه الظلم والاعتداء بمساحة خاصة تتسع، كلّما ارتفعت درجة الانسان في هذا السلم، ويرتبط ذلك بما يتلقاه الانسان من تربية ومايعانيه من تهذيب نفسه وضبطها والمحافظة على يقظة ضميره وسلامة قلبه، وأيضاً بما يمنحه اللّه تعالى من تأييد وإمداد في ساعات ضعف النفس.

وفي كل مرحلة من مراحل العصمة لاتعني استحالة صدور المعصية والظلم من الانسان أنها تتمّ في نفس الانسان بصورة قهرية، ومن غير تدخل من إرادته واختياره، وإنّما يتمنع الفرد من الظلم في كل مرتبة من هذه المراتب بارادته واختياره بالتأكيد، إلّا أنّ مراتب الارادة ودرجاتها تختلف باختلاف تربية الانسان ومعاناته النفسية ومحيطه وبيئته ومركزه الاجتماعي، وغير ذلك من الأسباب، وفي مقدمته تأييد اللّه تعالى له وإمداده إياه، بتصعيد إرادته في مواجهة حالات الضعف البشري، فتكون لكل مرحلة من الارادة درجة من المناعة ومساحة من العصمة.

ولاشك أنّ تأييد الله تعالى وإمداده لعبده من أهم هذه الأسباب المقوّمة لارادة الانسان، والتي تضبط سلوك الانسان من الانحراف والظلم والخلاف.

ولا شك أيضاً أنّ درجة تأييد الله تعالى لعبده تتبع قانوناً دقيقاً جداً، شأن سائر سنن الله تعالى، فكلّما جاهد الانسان نفسه أكثر، آتاه الله تعالى درجة أعلى من التأييد ومزيداً من الامداد:

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا، وإن الله لمع المحسنين﴾[52].

فالعصمة، واستحالة الذنب والخلاف من العبد، لا تعني إذن انعدام الارادة والاختيار، وإنما تعني ارتفاع الارادة لدرجة لا تغلبها قوى النفس التي تميل الى الخلاف والانحراف.

وإذا استطعنا أن نتصور (العصمة) في هذه المساحات المختلف، بشكل لا يتنافى مع إيجابية الارادة والاختيار، فاننا نستطيع في ضوء ذلك أن نتصور (العصمة) في مساحتها الكبرى في الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام، بحيث تستحيل عليهم المعصية وصدور الظلم والخلاف بمحض إرادتهم واختيارهم، ودون أن يكونوا مغلوبين أو مقهورين في شيء من ذلك أبداً.

وإذا تمّ هذا الايضاح، فلا يعسر علينا أن نفهم (الارادة التكوينية) في آية التطهير، فهي من إمداد الله تعالى وفيضه وتأييده لعباده الصالحين من أهل البيت(ع)، في تطهير نفوسهم وإذهاب الرجس عنهم، وتصعيد إرادتهم على نحو تكويني، وبقدرة قديرة من الله تعالى، تستحيل معها المعصية والذنب عليهم، بمحض إرادتهم واختيارهم.

وهذا التأييد الالهي لا يؤدّي الى سلب الاختيار والارادة عنهم، وإنما هو في حقيقته تصعيد لدرجة إرادتهم وقوتها، وإمداد لها بالقوة والضبط، حتى

---

(٥٢) العنكبوت/٦٩.

يستحيل عليهم فعل معصية أو ذنب، كما يستحيل على الأم أن تقتل أطفالها مثلاً، دون أن يؤدي ذلك الى سلب الاختيار والارادة منهم، وإنّما بمحض اختيارهم وإرادتهم يجتنبون المعاصي والذنوب.

﴿ليذهب عنكم الرجس﴾.

الرجس: الشيء القذر[٥٣]. وهي حالة توجب التنفّر. وهي قد تكون حالة مادية ظاهرية كما في لحم الخنزير. يقول تعالى:

﴿أو لحم خنزير فإنّه رجس﴾[٥٤].

وقد تكون حالة نفسية كما في قوله تعالى:

﴿وأما الّذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾[٥٥].

ويقول تعالى:

﴿ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كأنما يصّعّد في السماء، كذلك يجعل اللّه الرجس على الّذين لايؤمنون﴾[٥٦].

فالآية الكريمة صريحة - إذن - في أنّ اللّه تعالى قد أذهب عنهم الرجس، وواضح أنّ الذنوب والمعاصي من أوضح أفراد الرجس. وقد أذهبها اللّه تعالى عن أهل بيت رسول اللّه(ص). وقد علمنا أنّ إذهاب الرجس هذا قد تمّ بمشيئة اللّه التكوينية. ولا يمكن أن يتخلّف شيء عن إرادته سبحانه

---

(٥٣) المفردات/للراغب/ص ١٨٨.

(٥٤) الأنعام/١٤٥.

(٥٥) التوبة/١٢٥.

(٥٦) الأنعام/١٢٥. ويحسن مراجعة تفسير الميزان/للعلاّمة الطباطبائي/(ج١٦/ص ٣٣٠).

وتعالى:

﴿وإنّما أمره إذا أراد شيئاً أنْ يقول له كُنْ فيكون﴾.

وعليه فلا يمكن أن يصدر عنهم (عليهم السلام) ذنب أو معصية بحكم هذه الآية.

يقول الطبري في تفسير هذه الآية الكريمة:

(إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء ياأهل بيت محمد ويطهّركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيراً، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل).

ثم ينقل عن ابن زيد:

(إن الرجس هاهنا الشيطان، وسوى ذلك من الرجس: الشرك)[٥٧].

وفسّر الشيخ محي الدين بن العربي لفظ (الرجس) في الباب ٢٩ من فتوحاته بكل مايشين. واليك عبارته، قال:

(وقد ذكر النبي(ص) قد طهره الله وأهل بيته وأذهب عنهم الرجس، وهو كل مايشينهم، فإنّ الرجس: هو القذر عند العرب، وهكذا حكى الفرّاء)[٥٨].

ويقول النيسابوري في تفسير الآية:

(فاستعار للذنوب الرجس)[٥٩].

---

(٥٧) جامع البيان/للطبري/(ج٢٢/ص ٥).

(٥٨) الفصول المهمّة/للامام شرف الدين رحمه الله/ص ٢١٨.

(٥٩) تفسير غرائب القرآن/للنيسابوري، بهامش جامع البيان/(ج٢٢/ص ١٠).

أهل البيـت (ع)

من هم أهل البيت(ع)؟

١ـ وحسبك في التعريف بأهل البيت ماسنقرؤه عليك من الروايات الصحيحة والصريحة التي تصرّح بأسمائهم على طريقة الحصر واحداً بعد آخر، وهو قليل من كثير من الأحاديث الواردة في هذا الباب.

٢ـ ويبـدو أنّ رسـول اللّه(ص) كان حريصاً على تحديد وتشخيص عنوان (أهل البيت) الذي نزل فيه قرآن من اللّه تعالى، والمنع عن استعمال هذه الكلمة في غير أهله، ومن إدخال من ليس منهم فيهم.

فكان (ص) يشخّصهم بأسمائهم كما في رواية عبداللّه بن جعفر:

(فيقول (ص) إدعوا لي إدعوا لي، فتقول صفية: من. فيقول (ص): (أهـل بيتي علياً وفـاطمـة والحسن والحسين)، ثم يؤكد (ص) هذا الحصر والتشخيص بقوله: (اللّهم هؤلاء آلي، فصلّ على محمد وآل محمد) فينزل اللّه فيهم قرآناً محكماً: **﴿إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾**[٦٠]

ولا يخفى مافي هذه الكلمة: (اللّهم هؤلاء آلي) من الدلالة على حصر أهل البيت(ع) فيهم، ونفيه عن غيرهم، لكل من عرف أساليب العرب في

---

(٦٠) برواية الحاكم في مستدرك الصحيحين كما يأتي.

الكلام.

٣ـ وإمعاناً في تشخيصهم وتحديدهم بحصرهم(ص) تحت كساء، كما في رواية أمّ سلمة رحمها اللّه:

(دعا رسول اللّه حسناً وحسيناً وفاطمة، فأجلسهم بين يديه ودعا علياً فأجلسه خلفه، فتجلّل هو وهم بالكساء، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً)[٦١].

وهذا أبلغ ما يكون في الحصر، فكأنما أراد رسول اللّه(ص) أن يقطع على كل أحد عذر الالتباس، فتجاوز دلالات الكلام بحضرهم تحت كساء واحد، ليكون أبلغ في الحصر، وأقوى فيّ الدلالة.

٤ـ وتتمنى أمّ المؤمنين أمّ سلمة رحمها اللّه التي نزلت الآية الكريمة في بيتها، أن تكون هي من أهل البيت، بعد أن جمع رسول اللّه(ص) علياً وفاطمة والحسن والحسين واجتمع بهم تحت الكساء، وقال:

((اللّهم هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس أهل البيت وطهّرهم تطهيراً)).

فتقول أمّ سلمة لرسول اللّه(ص):

(فأنا معهم يانبيّ اللّه).؟

فيقول لها:

(أنت على مكانك، وأنت على خير)[٦٢].

فلا ينفي (ص) أنها رحمها اللّه على خير، ولكن ينفي أن تكون من

---

(٦١) برواية الطبري، وابن كثير، في تفسيرهما، والترمذي في صحيحه، والطحاوي في مشكل الآثار، كما سوف يأتي.

(٦٢) رواها السيوطي في الدر المنثور، عن أبي سعيد، كما يأتي في هذه الرسالة.

(أهل البيت) وهي زوجته ومن أمّهات المؤمنين.

ولا يبقى بعد ذلك ـ والرواية مصحّحة ـ مجال في إدخال أمّهات المؤمنين في عداد المقصودين بأهل البيت(ع)، في هذه الآية الكريمة. بعد النفي الصريح القاطع من رسول الله(ص) لدخول أم سلمة رحمها الله، وهي من زوجات رسول الله(ص) ومن أمّهات المؤمنين فيهم.

٥ـ ثم يصرّح رسول الله(ص) في ذلك تصريحاً لا يترك لأحد شكاً بعده، فيقول (ص):

(نزلت هذه الآية في خمسة: في، وفي علي، وحسن وحسين وفاطمة)[٦٣].

فهل يبقى لأحد شك، بعد هذا البلاغ النبوي الصادع في المقصود من (أهل البيت) في عصر نزول الآية الكريمة.

وهل يشك أحد بعد كل هذا الايضاح أنّ الآية الكريمة لم تشمل حين نزولها غير أولئك الخمسة الطاهرة: رسول الله(ص)، وعلي، وفاطمة، والحسن والحسين (عليهم السلام).

يقول الامام شرف الدين رحمه الله:

(وقد أجمعت كلمة أهل القبلة من أهل المذاهب الاسلامية كلّها على أنه (ص) لما نزل الوحي بها ـ بآية التطهير ـ عليه ضمّ سبطيه وأباهما وأمّهما إليه، ثم غشّاهم ونفسه بذلك الكساء، تمييزاً لهم على سائر الابناء والأنفس والنساء، فلما انفردوا تحته عن أسرته كافّة، واحتجبوا به عن بقية أمته بلّغهم الآية، وهم على تلك الحال، حرصاً على أن لا يطمع بمشاركتهم فيها أحد من الصحابة والآل، فقال مخاطبهم، وهم في معزل عن الناس كافّة: ﴿إنّما يريد

---

(٦٣) رواها الطبري في التفسير، والمحب الطبري في ذخائر العقبى، عن أبي سعيد رحمه الله، كما يأتي في هذه الرسالة. ورواها ابن كثير في التفسير/(ج٣/ص ٤٨٥).

الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ فأزاح (ص) بحجبهم في كسائه حينئذ حجب الريب، وهتك سدف الشبهات، فبرح الخفاء بحكمته البالغة، وسطعت أشعة الظهور ببلاغه المبين، والحمد لله رب العالمين)(٦٤)

٦ـ وإمعاناً في تحديد (أهل البيت) في الخمسة الذين نزلت فيهم الآية الكريمة، ونفي غيرهم، واعلاماً للأمة بما لا يقبل الشك والتأويل بأهل البيت وعددهم في عصر نزول الآية الكريمة، أخذ رسول الله(ص) يتلو هذه الآية الكريمة كل يوم على باب بيت الزهراء(ع)، حيث يجمع علياً والزهراء والحسنين(ع)، بمرأى ومسمع من المسلمين.

عن ابي برزة، قال:

(صلّيت مع رسول الله(ص) سبعة عشر شهراً، فاذا خرج من بيته أتى باب فاطمة(ع) فقال: الصلاة عليكم **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾**(٦٥).

وعن ابن عباس، قال:

(شهدت رسول الله(ص) تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كل صلاة، فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهل البيت **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾** كل يوم خمس مرات)(٦٦).

---

(٦٤) الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء/للامام شرف الدين، المطبوع في كتاب (الفصول المهمة)/ص ٢٠٤ـ٢٠٥.

(٦٥) رواها في مجمع الزوائد، كما يأتي في هذه الرسالة.

(٦٦) رواها السيوطي في الدر المنثور، كما يأتي في هذه الرسالة.

وعن مالك بن أنس:

(صلّيت مع رسول اللّه(ص) سبعة عشر شهراً. فاذا خرج من بيته أتى باب فاطمة(ع) فقال: الصلاة عليكم **﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾** كلّ يوم خمس مرّات)[٦٧].

وهي خطّة إعلامية عجيبة عمل بها رسول اللّه(ص) لازالة الالتباس من (أهل البيت) في الآية الكريمة، وتحديده وحصره، بشكل لا يدع مجالاً لأحد في التلبيس أو الالتباس، وإدخال من ليس منهم فيهم، وإخراج من كان منهم عنهم.

ولا شك أنّ هذا الاهتمام الكبير من رسول اللّه(ص) في تبليغ هذا الأمر وتحديد أهل البيت في الخمسة الطاهرة، يكشف عن أمر جليل وكبير، ومغزى عميق في الآية الكريمة، له آثاره وأبعاده العميقة في تاريخ المسلمين وحياتهم ودينهم فيما بعد.

ولو أنّ الأمر في الآية الكريمة كان لا يتجاوز تكريماً لأهل البيت(ع) لعلاقتهم برسول اللّه(ص) لم يكن الأمر يقتضي مثل هذا الاهتمام والتأكيد والتكريس من رسول اللّه(ص)، باعلان أهل البيت بأسمائهم وحصرهم بهذه الأساليب المختلفة، حتى يبلغ الأمر به (ص) أن يعلن ذلك بمرأى ومسمع من المسلمين، ويكرّر هذا الاعلان لستة أشهر أو سبعة أو ثمانية أو تسعة باختلاف الروايات أمام بيت الزهراء(ع)، في كل يوم خمس مرات أو أقل في أوقات الصلاة، وإنّه لأمر عجيب وينطوي على أمر جليل.

---

(٦٧) رواها الترمذي في الصحيح، وأحمد في المسند والطيالسي في المسند، والحاكم في مستدرك الصحيحين، وابن الأثير في أسد الغابة، والطبري وابن كثير والسيوطي في تفاسيرهم، كما يأتي في هذه الرسالة.

ولأمر ما يكرر رسول الله(ص) هذه الحقيقة بأساليب مختلفة من البيان، مقرونة بأساليب مختلفة من العمل.

فيسمّي أهل البيت حيناً بأسمائهم، ويحصرهم حيناً آخر حصراً، فيقول: (اللّهم هؤلاء آلي)، ويجمعهم تارة تحت كساء واحد يجلّلهم جميعاً، ليس تحته أحد غيرهم. فتتمنى أم سلمة ـ زوجته ـ أن تدخل معه، فيردّها رداً رقيقاً.

ويعدّدهم ـ تارة أخرى ـ بأسمائهم واحداً بعد واحد وثم يأخذ بإعلام الأمة بهذا البيت الطاهر ومن فيه بذلك الأسلوب العجيب الذي ذكرناه لمدة طويلة تختلف الروايات في تحديدها.

اللّهم إنّا نشهد إنّ رسولك لم يكن يعمل كل ذلك من غير قصد وحكمة، وإنّه قد بلغ ما أمرته به، ثم بلغ، وقام بما حملته كل قيام، ولم يترك لأحد مجالاً لشك أو ارتياب أو تأويل.

اللّهم اكتبنا من الشاهدين، وأعنا على ما حمّلتنا.

الروايات المعارضة

وقد وردت روايات في تفسير الآية الكريمة بخلاف التفسير الذي رويناه عن رسول الله(ص) في حصر أهل البيت، وقت نزلت الآية الكريمة في الخمسة الطاهرة.

وهذه الروايات المختلفة ضعيفة من ناحية السند، ومتروكة. ويكفي فيها أن نقول أنّ ابن حجر الهيثمي، وهو من أكثر الناس إصراراً على توجيه الآية الكريمة بموجب هذه الروايات يعترف ويقول:

(إنّ أكثر المفسّرين على أنّها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين)[68].

ورغم ذلك فإنّ أمانة البحث تقتضينا أن نستعرض هذه الروايات لنعرضها للمناقشة من حيث السّند والدّلالة.

وهي على قسمين، فمنها ما تفسّر الآية الكريمة بأنّها تخصّ زوجات النبي(ص)، وهو رأي شديد التطرّف، لا يكاد يرتضيه حتى ابن كثير المعروف باتّجاهه السلبي في هذا الأمر[69].

ومنها ما تعمم الآية الكريمة على زوجاته(ص)، وآله، بمن فيهم

---

(٦٨) الصواعق المحرقة/ص ١٤٣.

(٦٩) تفسير ابن كثير/(ج٣/ص ٤٨٣).

آل عقيل وآل عباس وآل جعفر وغيرهم.

وسوف نستعرض فيما يلي هذه الروايات، لنلقي عليها بعض الأضواء:

١ـ رواية عكرمة ومقاتل:

وينفرد (عكرمة)، وربما (مقاتل)[٧٠] أيضاً، من بين المفسّرين كلهم بتخصيص هذه الآية الكريمة بنساء النبي خاصة، وكان عكرمة ينادي بهذا في الأسواق[٧١].

وهو قول عجيب، وأعجب منه أن يتحمس له عكرمة حتى ينادي به في الأسواق، وهو أمر يثير كثيراً من الريب في النفس.

ومما يريبنا في هذه الرواية إنّ الذي يروي هذه الرواية شخصان عرفا بالكذب عند المحدّثين، وأسقطوا حديثهما عن الاعتبار.

وأول ما يستوقفنا من رواية عكرمة الذي كان يتحمس لهذا القول حتى إنه كان ينادي به في الأسواق، إنه كان أباضيّاً (خارجياً) يرى السيف[٧٢].
وكان قد أتى نجدة الحروري (الخارجي) فأقام عنده ستة أشهر، وكان يحدّث برأي نجدة.

وقال ابن لهيع:

(كان ـ أي عكرمة ـ أو من أحدث فيهم ـ أي في أهل المغرب ـ رأي الصفرية).

---

(٧٠) دلائل الصدق/(ج٢/ص ٦٥).

(٧١) أسباب النزول/للواحدي/ص ٢٤٠، وابن كثير/(ج٣/ص ٤٨٣)، وجامع البيان/للطبري/(ج٢٢/ص ٧).

(٧٢) الكاشف/للذهبي/(ج٢/ص ٢٧٦).

وقال يعقوب بن يوسف:

(سمعت ابن بكير يقول: قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب، وترك هذا الدار وخرج الى المغرب، فالخوارج الذين بالمغرب عنه أخذوا)[٧٣].

ولذلك كلّه (لم يذكر مالك بن أنس عكرمة)[٧٤]. ونقل، عن خالد بن أبي عمران: (دخل علينا عكرمة أفريقية وقت الموسم، فقال: وددت أني اليوم بالموسم بيدي حربة أضرب يميناً وشمالاً. قال: فمن يومئذ رفضه أهل أفريقية)[٧٥].

وهو أمر يكفي ـ وحده ـ أن يستوقفنا طويلاً، وأن يريبنا في رواية عكرمة، ولا يقتصر أمر عكرمة على ماتقدم، فقد كان مولى لابن عباس، ومات ابن عباس وهو عبد له[٧٦]. فلما توفي ابن عباس استغل علاقته بابن عباس في الكذب عليه، وأكثر من الكذب على مولاه في الرواية، حتى ضرب به المثل.

عن يحيى البكاء: سمعت ابن عمر يقول لنافع:

(اتق الله ويحك يانافع، ولا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس)[٧٧].

وعن سعيد بن المسيب إنه كان يقول لغلامه (برد):

(يابرد لا تكذب علي كما يكذب عكرمة على ابن عباس)[٧٨].

---

(٧٣) تهذيب التهذيب/(ج٧/ص ٢٦٧).

(٧٤) نفس المصدر.

(٧٥) نفس المصدر.

(٧٦) صفوة الصفوة/(ج٢/ص ١٠٣).

(٧٧) تهذيب التهذيب/(ج٧/ص ٢٦٧).

(٧٨) نفس المصدر.

(وقال عبد الله بن الحارث: دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة موثق على باب كنيف فقلت: اتفعلون هكذا بمولاكم فقال: انّ هذا يكذب على أبي)[٧٩].

واشتهر أمره بالكذب.

يقول عطاء الخراساني:

(قلت لسعيد بن المسيب أن عكرمة يزعم أن رسول الله(ص) تزوج ميمونة وهو محرم، فقال كذب مخبثان[٨٠] (أي الخبيث)).

وعن يحيى بن سعيد الأنصاري ـ إنه ـ كان كذّاباً[٨١].

وكان مالك لا يرى عكرمة ثقة، ويأمر أن لا يؤخذ عنه[٨٢].

وقال أبو عبدالله ـ أي أحمد بن حنبل ـ:

(عكرمة مضطرب الحديث).

وقال ابن عليه ذكره ـ أي عكرمة ـ أيوب، فقال: كان قليل العقل[٨٣].

ومات بالمدينة، فما حمله أحد (أي لم يشيّعه أحد) وأكرّوا له أربعة[٨٤].

وعن بعض المدنيين:

(إتفقت جنازته ـ عكرمة ـ وجنازة كثير عزة ـ الشاعر ـ بباب المسجد في يوم واحد، فما قام الناس إليها ـ جنازة عكرمة ـ أحد، فشهد الناس جنازة

---

(٧٩) وفيات الأعيان/(ج٢/ص ٤٢٨)، وتهذيب التهذيب/(ج٧/ص ٢٦٨).

(٨٠) تهذيب التهذيب/(ج٨/ص ٢٦٨).

(٨١) نفس المصدر.

(٨٢) نفس المصدر.

(٨٣) نفس المصدر.

(٨٤) نفس المصدر.

كثير، وتركوا عكرمة)[85].

ذلك بعض ما يقوله الثقات من أرباب الجرح والتعديل، وبعض منه في الاعراض عن رواية عكرمة، وردّها اليه، فلا نطيل في مناقشته.

وأمّا مقاتل بن سليمان المفسّر، فتكفي فيه كلمة البخاري في ترجمته في كتاب التاريخ الكبير: (لا شيء ألبته)[86].

وعن العباس بن مصعب المروزي:

(كان ـ مقاتل ـ حافظاً للتفسير، لا يضبط الاسناد)[87].

وكان يدّعي أنه سمع الضحّاك بن مزاحم، وكتب التفسير عنه. وقد أنكر عليه جمع هذا الادعاء من أمثال ابن عيينة، وجويبر، وابراهيم الحربي الذي كان يقول: مات الضحاك قبل أن يولد مقاتل بأربعة سنين[88].

وقال أبو حنيفة ـ متهماً له في مذهبه ـ أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطّل، ومقاتل مشبّه[89].

وكان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يقول:

(أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظير يعني في البدعة والكذب: جهم، ومقاتل، وعمر بن صبح)[90].

وقال خارجة بن مصعب:

---

(٨٥) نفس المصدر.

(٨٦) التاريخ الكبير/للبخاري/(ج٨/ص ١٤).

(٨٧) تهذيب التهذيب/(ج١٠/ص ٢٨٠).

(٨٨) تهذيب التهذيب/(ج١٠/ص ٢٨١).

(٨٩) نفس المصدر.

(٩٠) نفس المصدر.

(كان جهم، ومقاتل، عندنا فاسقين فاجرين)[٩١]

وكان خارجة يقول:

(لم أستحل دم يهودي ولا ذمي، ولو قدرت على مقاتل بن سليمان في موضع لا يراني فيه أحد لقتلته)[٩٢].

وقال عبدالصمد بن عبدالوارث:

(قدم علينا مقاتل بن سليمان، فجعل يحدّثنا عن عطاء، ثم حدّثنا بتلك الأحاديث عن ضحّاك، ثم حدّثنا بها عن عمرو بن شعيب، فقلنا له: ممّن سمعتها. قال: منهم كلّهم، ثم قال: لا واللّه لا أدري ممّن سمعتها)[٩٣].

وعن وكيع:

(أردنا أن نرحل الى مقاتل، فقدّم علينا، فأتيناه، فوجدناه كذاباً، فلم نكتب عنه)[٩٤].

وكان يتبرّع للخلفاء والحكام في وضع الأحاديث على رسول اللّه(ص).

وقال أبو عبيد اللّه وزير المهدي:

(قال لي المهدي: ألا ترى الى ما يقول لي هذا، يعني مقاتلاً. قال: إن شئت وضعت لك أحاديث في العباس)[٩٥].

وكان معروفاً بعدائه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)، حتى إنه أراد أن يستخفّ بقيمة كلمة علي(ع): (سلوني قبل أن تفقدوني)، فقال هو: (سلوني عمّا دون العرش، حتى أخبركم به)، فقال له يوسف السمتي من حلق

---

(٩١) نفس المصدر.

(٩٢) نفس المصدر.

(٩٣) نفس المصدر.

(٩٤) نفس المصدر.

(٩٥) نفس المصدر.

رأس آدم أوّل ما حج. فقال:لا أدري[96].

وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني:

(مقاتل بن سليمان كان دجّالاً، جسوراً).

وقال النسائي:

(الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله(ص) أربعة: ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان بخراسان، ومحمد بن سعيد بالشّام)[97].

وقال عنه العسقلاني:

(مقاتل بن سليمان: كذبوه، وهجروه، ورمي بالتجسيم)[98].

ذلك على نحو الاجمال حال عكرمة ومقاتل، ولا أخالني بحاجة الى أن أقف أكثـر من هذا المقدار عن هذين الرجلين وروايتهما، وتفسيرهما للآية الكريمة، فلنعرض عنهما، ونتعرّض لغيرهما من الروايات.

٢ـ رواية ابن عباس:

والرواية الأخرى يرويها الواحدي في أسباب النزول:

(عن أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد السراج قال: أخبرنا محمد بن يعقوب قال: أخبرنا الحسن بن علي بن عفّان قال: أخبرنا أبو يحيى الحماني، عن صالح بن موسى القرشي عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أنزلت هذه الآية في نساء النبي(ص) ﴿ـ إنّما يريد الله ليذهب

---

(٩٦) نفس المصدر.

(٩٧) وفيات الأعيان/(ج٤/ص ٣٤٢).

(٩٨) تقريب التهذيب/للعسقلاني/(ج٢/ص ٢٧٢).

عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[99].

وهـذه الرواية فيها أكثر من آفة في سندها: فبعض رواتها مجهولون، وبعضهم لا ذكر لهم في كتب الرجال والجرح والتعديل، وبعضهم مذكورون بالضعف ومتّهمون بالكذب.

فان أبـا يحيى الحـماني، وهو عبدالحميد بن عبدالرحمن الحماني مرمي بالارجـاء والخطأ[100] وقيل هو من دعاة المرجئة[101] وقال النسائي: ليس بقـوي[102] وقال ابن سعد وأحمد: كان ضعيفاً. وقال المجلي: كوفي ضعيف الحديث مرجيء. وقال ابن معين: كان ثقة، ولكنه ضعيف العقل[103].

وأما الخصيف الذي يروي الرواية عن سعيد بن جبير، فقد ضعفه أحمد. وقـال ابن حنبل عنه: ليس بحجة، ولا قوي في الحديث. وقال أبو حاتم صالح: يخلط، وتكلّم في سوء حفظه. وقال ابن المديني: كان يحيى بن سعيد يضعفه. وقال أبو طالب: سئل أحمد عن عتاب بن بشير فقال: أرجو أن لا يكون به بأس، روى أحاديث نافرة منكرة، وما أرى إلا انها من قبل خصيف. وقال ابن معين: أنا كنا نتجنب حديثه. وقال ابن خزيمة: لا يحتج بحديثه. وقـال أبـو أحمـد الحاكم: ليس بالقوي. وقال ابن حبان: تركه جماعة من أئمتنا... الخ[104]. وقال عنه الذهبي: خصيف بن عبدالرحمن، مولى بني أمية،

---

(٩٩) أسباب النزول/للواحدي/ص ٢٣٩.

(١٠٠) تقريب التهذيب/(ج١/ص ٤٦٩).

(١٠١) الكاشف/للذهبي/ج٢/ص ١٥٢.

(١٠٢) تهذيب التهذيب/(ج٦/ص ١٢٠).

(١٠٣) نفس المصدر.

(١٠٤) تهذيب التهذيب/(ج٣/ص ١٤٣ـ١٤٤).

صدوق سيىء الحفظ، ضعفه أحمد[105].

ولا نريد أن تطيل أكثر من هذا في مناقشة سند هذا الحديث، وفي رأينا أنّ بعض هذا الجهل والضعف الذي يلف سند هذا الحديث يكفي للاعراض عنه.

ومن عجب أن تنتهي هذه الرواية الضعيفة إلى ابن عباس، وقد روي عنه بأسانيد قوية صحيحة صريحة، وفي كتب معتبرة من كتب الحديث، نزول هذه الاية الكريمة في الخمسة الطيبة: رسول اللّه(ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) فقط، واختصاصها بهم دون غيرهم، فيعرض الواحدي عن تلك الروايات الصريحة الصحيحة، ويذكر هذه الرواية الضعيفة!.

٣ـ رواية واثلة بن الأسقع:

والرواية الثالثة يرويها ابن جرير الطبري قال:

(حدّثني عبدالكريم بن أبي عمير، قال: حدّثنا الوليد بن مسلم، قال: حدّثنا أبو عمر، قال: حدّثني شدّاد أبو عمّار، قال: سمعت واثلة بن الأسقع يحدّث، قال: سألت عن علي بن أبي طالب في منزله فقالت فاطمة: قد ذهب يأتي برسول اللّه(ص)، اذ جاء فدخل رسول اللّه(ص) ودخلت فجلس رسول اللّه(ص) على الفراش وأجلس فاطمة عن يمينه، وعلياً عن يساره، وحسناً وحسيناً بين يديه، فلفع عليهم بثوبه، وقال: **﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾** اللّهم هؤلاء أهلي، اللّهم أهلي أحق. قال واثلة: فقلت: من ناحية البيت، وأنا يارسول اللّه من أهلك. قال:

---

(١٠٥) الكاشف/(ج١/ص ٢٨٠).

وأنت من أهلي. قال واثلة: إنّها لمن أرجى ما أرتجي)[١٠٦].

ويرويها ابن جرير بإسناد آخر:

(قال حدّثني عبدالأعلى بن واصل، قال: حدّثنا الفضل بن دكين، قال: حدّثنا عبدالسلام بن حرب عن كلثوم المحاربي عن أبي عمّار، قال: إني جالس عند واثلة بن الأسقع إذ ذكروا علياً رضى الله عنه، فشتموه، فلمّا قاموا قال: اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموا. إنّي عند رسول الله إذ جاء علي وفاطمة وحسن وحسين، فألقى عليهم كساءً ثم قال: اللّهم هؤلاء أهل بيتي، اللّهم اذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. قلت يارسول الله: وأنا. قال: وأنت. قال: فو الله إنها لأوثق عمل عندي)[١٠٧].

ويستوقفنا في رواية واثلة بن الأسقع قبل كل شيء إنّ واثلة نفسه يروي هذه الرواية من دون الزيادة التي في آخرها.

روى ابن كثير قال:

(قال الامام أيضاً: حدّثنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي، حدّثنا شدّاد بن عمّار، قال: دخلت على واثلة بن الأسقع رضى الله عنه، وعنده قوم، فذكروا علياً رضى الله عنه، فشتموه، فشتمته معهم، فلما قاموا. قال لي: شتمت هذا الرجل. قلت: قد شتموه فشتمته معهم. قال: ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله(ص). قلت: بلى. قال: أتيت فاطمة رضى الله عنها أسألها عن علي رضى الله عنه. فقالت: توجّه الى رسول الله(ص)، فجلست انتظره حتى جاء رسول الله(ص) ومعه علي وحسن وحسين. آخذ كل واحد منهما بيده، حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة رضى الله عنهما، وأجلسهما بين يديه،

---

(١٠٦) جامع البيان/للطبري/(ج٢٢/ص ٦).

(١٠٧) جامع البيان/(ج٢٢/ص ٦).

وأجلس حسناً وحسيناً، رضي الله عنهما، كل واحد منهما على فخذه، ثم لفّ عليهما ثوبه أو قال كساء، ثم تلا صلى الله عليه وآله وسلّم هذه الآية: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾، وقال اللّهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق[108].

وروى الحاكم في المستدرك نحواً من هذه الرواية باسناده الى بشر بن بكر، قال: حدّثنا الأوزاعي، حدّثنا أبو عمّار، حدّثني واثلة بن الأسقع، وذكر الرواية قريباً مما تقدّم، دون أن يذكر واثلة دخوله ضمن أهل البيت(ع)[109].

والروايات الثلاثة التي عرضناها رويت عن سداد (أبي عمّار) عن واثلة ابن الأسقع، وفي الأولى والثانية يدخل واثلة من أهل البيت، وفي الثالثة لا يدعي الدخول فيهم.

وهذا الاختلاف أول ما يثير الريب في النفس من رواية واثلة بن الأسقع، وأغلب الظن إنّ هذه الاضافة ليست من كلام واثلة بن الأسقع، وإنما أدخلت على روايته بعد ذلك، وإلّا فلا نجد مبرراً في إغفالها في الرواية التي نقلناها عنه آنفا، مع أنّها أرجى ما يرتجيه، وشرف لا يضاهيه شرف، فكيف يجوز أن يهمل ذكرها وهو يتحدّث عن آية التطهير.

واثلة بن الأسقع:

على أنّ المرء لا يستريح الى مرويات واثلة بن الأسقع، ولا تطمئن لها نفسه، فقد كان واثلة من أصحاب الصفة من أصحاب رسول الله(ص)، فلمّا توفي رسول الله(ص) انتقل الى الشام، وبقي فيها، يشهد الغزوات، حتى

---

(١٠٨) تفسير ابن كثير/(ج٣/ص ٤٨٣).

(١٠٩) مستدرك الصحيحين/(ج٣/ص ١٤٧).

توفي في أيام عبدالملك، وهو ابن مائة وخمسين سنة. وقال قتادة عنه كان آخر الصحابة موتاً بدمشق[110].

ولا نستبعد نحن أن يكون بنو أمية قد استغلوا وجود واثلة في الشام في تمرير جملة من أهدافهم السياسية.

فقد روي عن واثلة بن الأسقع روايات كثيرة في فضل معاوية بن أبي سفيان، اتفق أصحاب الجرح والتعديل على أنّها موضوعة على رسول الله(ص).

فقد أخرج ابن عساكر وغيره عن واثلة عن رسول الله(ص):

(إن الله ائتمن على وحيه جبرئيل وأنا ومعاوية وكاد أن يبعث معاوية نبياً، من كثرة علمه، وائتمانه على كلام ربي، يغفر الله لمعاوية ذنوبه، ووقاه حسابه، وعلمه كتابه، وجعله هادياً مهدياً، وهدى به)[111].

قال الحاكم: سأل أحمد بن عمر الدمشقي وكان عالماً بحديث الشام عن هذا الحديث، فأنكره جداً[112].

وعن واثلة عن رسول الله(ص):

(الأمناء عند الله ثلاثة: أنا وجبرئيل ومعاوية)[113].

قال النسائي وابن حبان: هذا الحديث باطل وموضوع[114].

ونقل السيوطي الرواية عن واثلة بن الأسقع بعدّة طرق، ونقل اتفاقه أئمة الجرح والتعديل على أنها موضوعة وإن اختلفت كلماتهم في الواضع لها.

---

(110) تهذيب التهذيب/(ج11/ص 101).

(111) الغدير/(ج5/ص 308/ط2). واللئالئ المصنوعة/(ج1/ص 419).

(112) الغدير/(ج5/ص 308).

(113) اللئالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة/(ج1/ص 417).

(114) المصدر السابق.

ويأتيه جمع فيشتمون علياً عليه السلام، فيسكت عنهم، ولا يقول شيئا، فاذا ذهبوا عاتب شدّاد على اشتراكه معهم، وذكر لهم أنّ آية التطهير نزلت في علي والزهراء والحسن والحسين[115].

شدّاد (أبو عمّار):

ويروي الروايتين عن واثلة بن الأسقع شداد (أبو عمّار)، وهو (مولى معاوية بن أبي سفيان)[116]، وهو أول ما يدعو للوقوف موقف الارتياب منه في روايته فيما يتعلّق بفضائل أهل البيت(ع)، وذكره البخاري ولم يوثقه، وقال: إنه كان يصلّي على بعيره في السفر[117].

وروى عن أبي هريرة وعوف بن مالك فيمن روى عنهم، وقال صالح بن محمد: لم يسمع من أبي هريرة ولا من عوف بن مالك[118]، ومع ذلك فهو على رأي صالح بن محمد صدوق!!.

وقد مرّ عليك قريباً إنّه اشترك مع الجمع في شتم علي عليه السلام حتّى اذا انفض الجمع عاتبه واثلة بن الأسقع، فقال شدّاد: (قد شتموه، فشتمته)[119].

وكيف يمكن أن يطمئن الانسان الى حديث انسان هذا مبلغه من الدين، يرى جمعاً يشتمون علياً، فيشتمه معهم، دون أن يتحقق من شخصه أو يتحفّظ لدينه، على أنّ من غير المعقول أنّ شدّاد لم يكن يعرف علياً عليه

(١١٥) تفسير ابن كثير/(ج٣/ص ٤٨٣).
(١١٦) التاريخ الكبير/للبخاري/ج٤/ص ٢٢٦).
(١١٧) التاريخ الكبير/(ج٤/ص ٢٢٦).
(١١٨) تهذيب التهذيب/(ج٤/ص ٣١٧).
(١١٩) تفسير ابن كثير/(ج٣/ص ٤٨٣).

السلام حين شتمه بمحضر واثلة بن الأسقع.

وبعد هذه الملاحظات كيف يمكن الاعتماد على هذه الرواية في دخول واثلة بن الأسقع في آل بيت رسول الله(ص). وقد وردت روايات صريحة صحيحة صحّحها أئمّة الحديث ووثّقوا رجالها من أنّ الآية الكريمة نزلت في رسول الله(ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين خاصة، لم يشاركهم فيها غيرهم، حتى أنّ أم سلمة تمنّت أن تدخل فيهم، بروايتها هي، فردّها رسول الله(ص) رداً رقيقاً، وقال (ص) لها: (مكانك، أنت على خير).

٤ـ رواية أمّ سلمة:

روى ابن جرير عن أبي كريب قال:

(حـدّثنا خالد بن مخلد، قال: حدّثنا موسى بن يعقوب، قال: حدّثني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص عن عبدالله بن وهب بن زمعة، قال: أخبرتني امّ سلمة أنّ رسول الله(ص) جمع علياً والحسنين ثم أدخلهم تحت ثوبه، ثم جار الى الله، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فقالت أمّ سلمة: يارسول الله أدخلني معهم، قال انك من أهلي.[١٢٠]).

وقد ورد في سند الرواية موسى بن يعقوب، وخالد بن مخلد. أما الأول فهو موسى بن يعقوب بن عبدالله بن وهب بن زمعة بن الأسود. قال عنه علي بن المديني: ضعيف الحديث منكر الحديث، قال النسائي: ليس بالقوي، وقال الأثرم سألت أحمد عنه فكأنه لم يعجبه، وقال الساجي: اختلف أحمد ويحيى فيه، قال أحمد: لا يعجبني، وقال ابن القطّان: ثقة[١٢١] وأما الثاني، فهو

---

(١٢٠) تفسير جامع البيان/(ج٢٢/ص ٧).

(١٢١) تهذيب التهذيب/(ج١٠/ص ٣٧٨ـ٣٧٩).

خالد بن مخلد القطواني أبو الهيثم البجلي. قال عبدالله بن أحمد عن أبيه:له أحاديث مناكير. وحكى أبو الوليد الباجي في رجال البخاري: عن ابن حاتم إنّه قال لخالد بن مخلد أحاديث مناكير، وفي الميزان للذهبي: يكتب حديثه ولا يحتج به، وذكره الساجي والعقيلي في الضعفاء[122].

ولا نريد أن نقف عند هذه الرواية طويلاً، ولا عند غيرها من رجال الرواية، ففي الأحاديث الكثيرة الصريحة والصحيحة المروية عن أمّ سلمة، والتي تقدّم بعضها ويأتي بعضها في هذه الرسالة الشريفة ما يكفي لردّ هذه الرواية، والوقوف في أكثر من حديث روي عنها بسند صحيح أنّها تمنّت أن تدخـل في عداد أهل البيت الذين نزلت فيهم آية التطهير، فردّها رسول الله(ص) برفق، وقال لها: (مكانك، إنك على خير، أو إنك من أزواج النبي)، ولم ينعم لها رسول الله.

وليس من الانصاف أن نترك كل الروايات التي روتها أمّ سلمة، ورواها عنها رجال ثقات صحّحها أئمة الحديث، ونأخذ بهذا الحديث الذي قرأنا طرفاً من سنده.

٥ـ رواية ابن حجر الهيثمي:

ونقل ابن حجر الهيثمي:

(أنه (ص) اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال: يارب هذا عميّ وصنو أبي، وهؤلاء أهل بيتي، فاسترهم من النار كستري ايّاهم بملاءتي هذه، فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت، فقال آمين، وهي ثلاثاً)[123].

---

(١٢٢) تهذيب التهذيب/(ج٣/ص ١١٧ـ١١٨).

(١٢٣) الصواعق المحرقة/لابن حجر الهيثمي/ص ١٤٤.

وهذه الرواية ينقلها ابن حجر من غير إسناد، ولا نعلم من أي مصدر نقل الحديث لننظر في سند الحديث، ولم نعثر على الرواية مسندة أو غير مسندة في مصدر آخر غير الصواعق من المصادر الموثوقة التي راجعناها للالمام بسند الحديث وألفاظه، ويكفي ذلك في وهن الحديث.

على أنّ لفظ الرواية يكفي وحده، بغض النظر عن سنده في الاعراض عنها وتركها.

فهي في أغلب الظن وضعت في أيام سلطان العباسيين وتسابق الناس الى التقرّب الى الخلفاء العباسيين بوضع أحاديث في فضل العباسيين.

فهذه اسكفة الباب تؤمن ثلاثاً على دعاء رسول الله(ص)، وحوائط البيت تقول آمين ثلاثاً في التعقيب على دعاء رسول الله(ص).

وبعض هذا يكفي في وهن الرواية وضعفها وتركها ـ فضلاً عن أنّ الرواية لم ترو في مصدر معتبر ـ ولم يذكر له سند.

هذا أهم ما عثرنا عليه من الروايات التي تعارض من حيث المضمون الروايات الصحيحة والصريحة الناطقة باختصاص التطهير في آية التطهير برسول الله(ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

منهـا ما تذكر إنّ آية التطهير تخص زوجات رسول الله(ص)، دون غيرهم، وهي رواية عكرمة. ومنها ما كانت تشرك غيرهم معهم، كرواية ابن عباس وواثلة وغيرهما. وهي جميعاً كما يرى القارئ، ضعيفة من حيث المتن والسنـد لا يمكن أن تعـارض ما يأتي من الروايات الصحيحة والصريحة باختصاص التطهير بالخمسة الطيبة.

الآل والأهل في اللغة والحديث:

ويظهر من مراجعة اللغة والحديث ان كلمة (الأهل) و (الآل) لا تطلق

على الزوجة إلاّ بقرينة تدل عليه، فإذا خلا الكلام من أي قرينة، فانه يدل على أهله الذين يتّصل إليهم بنسب قريب.

يقول ابن المنظور في دلالة كلمة (الآل) و (الأهل) على الزوجة:

(وهذا معنى يحتمله اللّسان، ولكنّه معنى كلام لا يعرف إلاّ أن يكون له سبب كلام يدل عليه، وذلك أن يقال للرجل: تزوجت، فيقول: ماتأهّلت، فيعرف بأول الكلام إنّه أراد ما تزوّجت، أو يقول الرجل: أجنبت من أهلي، فيعرف أن الجنابة إنّما تكون من الزوجة، فأمّا أن يبدأ الرجل فيقول: أهلي ببلد كذا، فأنا أزور أهلي، وأنا كريم الأهل، فإنّما يذهب الناس في هذا الى أهل البيت)[١٢٤].

خلاصته أنّ كلمة (الآل) و (الأهل) لا تدلّان إلاّ على أقرباء الانسان من نسبه، فاذا اقترن الكلام بقرينة أمكن أن تدل الكلمة على الزوجة، كما يقول الرجل: أجنبت من أهلي. وبذلك يظهر أنّ إطلاق الآل على الزوجة ليس من الاطلاق الحقيقي، وإنّما هو من المجاز الذي يحتاج الى القرينة في انصرافه عن معناه الحقيقي.

وقال ابن الأثير:

(قد اختلف في آل النبي(ص) فالأكثر على أنهم أهل بيته. قال الشافعي رضي الله عنه: دلّ هذا الحديث (لا تحلّ الصدقة لمحمد وآل محمد) أنّ آل محمد هم الذين حرمت عليهم الصّدقة وعوّضوا منها الخمس، وهم صلبية بني هاشم وبني المطّلب)[١٢٥].

وبهذا المعنى روى مسلم في الصحيح عن يزيد بن حيان، قال:

---

(١٢٤) لسان العرب/(ج١١/ص ٣٨).

(١٢٥) النهاية/لابن الأثير/(ج١/ص ٨١).

(انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم الى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا إليه، قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول اللّه(ص)، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصلّيت خلفه. لقد لقيت يازيد خيراً كثيراً. حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللّه(ص). قال؛ يابن أخي، واللّه لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول اللّه(ص)، فما حدّثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلّفونيه، ثم قال: قام رسول اللّه(ص) يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد اللّه وأثنى عليه، ووعظ، وذكر، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي، فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب اللّه، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب اللّه، واستمسكوا به، فحثّ على كتاب اللّه، ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي.

فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته.قال: نساؤه من أهل بيته، ولكنّ أهل بيته من حرّم الصدقة بعده).

وفي حديث آخر من مثل ما تقدّم في الثقلين، رواه مسلم عن زيد بن أرقم، في آخره:

(فقلنا: من أهل بيته. نساؤه؟ قال: لا، وأيم اللّه إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلّقها، فترجع الى أبيها وقومها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده)[126].

وإنّما نقلنا ما تقدّم من اللغة والحديث لنبيّن أنّ الآل والأهل لا تشمل الزوجات إلّا بنحو من التجوّز، فإذا أطلقت هذه الكلمة من غير قيد أو

---

(١٢٦) الجامع الصحيح/لمسلم بن الحجّاج/(ج٧/ص ١٢٢_١٢٣). وروى الحديثين ابن كثير في التفسير/(ج٣/ص ٤٨٦).

قرينة، فإنّها لا تدل إلاّ على أقارب الانسان بالنسب، فقط.

وأمّا (أهل البيت) الذين أذهب اللّه عنهم الرجس في صريح آية من القرآن الكريم فهم الخمسة الطاهرة لا غيرهم من سائر أقرباء النبيّ وآله وزوجاته، والقول الفصل في ذلك ما تقدّم وما يأتي في هذه الرسالة الشريفة من أحاديث صريحة وصحيحة عن رسول اللّه(ص).

سياق الآية الكريمة في سورة الأحزاب:

وأما مسألة السياق، وموقع آية التطهير في سورة الأحزاب المباركة من الآيات المتعلقة بأمّهات المؤمنين، والتمسّك به على دخول نساء النبيّ(ص) في آية التطهير، فهو - كما يقول الامام شرف الدين[127] - في الاجتهاد في مقابل النص، الذي لا يحلّ لأحد ولا يجوز.

فلا يتجاوز التمسّك بالسياق أن يكون اجتهاداً واستحساناً تابعاً من وحدة سياق الكلام، وهو أمر لا يمكن التمسّك به في قبال النصوص الصحيحة والمتواترة التي تخص الآية الكريمة بالخمسة الطاهرة، رسول اللّه(ص) وعلي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام.

فإنّ القرآن الكريم لم يترتّب في الجمع على حسب ترتيبه في النزول بإجماع المسلمين كافة، وعلى هذا فالسياق لا يكافىء الادلة الصحيحة عند تعارضهما لعدم الوثوق حينئذ بنزول الآية في ذلك السياق، ولذا كان الواجب في مقامنا هذا ترك فحوى السياق لو سلم ظهوره بما زعموا والاستسلام لحكم ما سمعت بعضه من الأدلّة القاطعة والحجج الساطعة[128].

---

(١٢٧) الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء (س) /ص ٢١٣.

(١٢٨) الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء (س)/ص ٢١٣.

على ان اختلاف الضمائر في هذه الاية الكريمة عما قبلها وبعدها من الآيات يزلزل وحدة السياق عن الأساس.

ولكي نيسّر لك الأمر نتلو عليك آية التطهير وما قبلها وما بعدها فانظر فيها وامعن النظر في اختلاف الضمائر فيها عمّا قبلها وبعدها من حيث التذكير والتأنيث، ونحيل القارىء الى ضميره في الحكم في هذا السياق:

قال عزّ من قائل:

﴿يا نساء النبيّ لستن كأحد من النساء. ان اتقيتنّ فلا تخضعن بالقول، فيطمع الذي في قلبه مرض، وقلن قولاً معروفاً. وقرن في بيوتكنّ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وأقمنَ الصلاة، وآتين الزكاة، وأطعن الله ورسوله. إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً. واذكرن ما يتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة إنّ الله كان لطيفاً خبيراً﴾.

أرأيت الى اختلاف آية التطهير المباركة عمّا قبلها وبعدها من الآيات الكريمة، واختلافها الظّاهر في الضمائر.

فهل تبقى وحدة في السياق، في نظر القارىء حتى يكون السياق معارضاً للأدلّة القاطعة باختصاص التطهير بالخمسة الطاهرة. فضلاً عن إنّه من الاجتهاد في قبال النص.

على أنّ آية التطهير الكريمة، وحدها، كافية لتحديد أهل البيت، الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً.

فإنّ الآية الكريمة، بحكم ما تقدّم من حديث في تفسير فقراتها صريحة في تنزيه أهل البيت من كل رجس وتطهرهم، بارادة من الله عن كل معصية ومخالفة للّه تعالى، في كل صغيرة أو كبيرة، وذلك معنى العصمة في السلوك.

والآية الكريمة صريحة في إثبات العصمة لأهل البيت، وبعد إثبات هذه الحقيقة لا نتوقف كثيراً في معرفة المقصود بأهل البيت الذين أذهب الله عنهم

الرجس وطهّرهم تطهيراً.

فنأخذ بكل محتملات أهل البيت، وكل من يحتمل دخوله في أهل البيت من زوجات رسول الله(ص)، وآل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس وغيرهم.

ثم نتساءل عن أمرين اثنين:

١ـ من كان يدّعي من هؤلاء الآل العصمة من كلّ رجس وذنب؟؟.

٢ـ وإذا اتفق الادعـاء من بعضهم، فهل يصدق عمله دعواه أم لا. فلنراجع تاريخه وحياته، لنجد هل كان في دعواه صادقاً أم لا.

وهذا التساؤل محك دقيق في تحديد وتشخيص المعنيين بالتطهير والعصمة في الآية الكريمة.

وعنـد مراجعـة الفئـات المحتمل دخـولها في (أهل البيت) في الآية الكريمة، ترى أنّ هذا الشرط لم يتوفّر في غير الخمسة الطاهرة في أحد ممّن عاصر نزول الآية الكريمة من آل رسول الله(ص) وزوجاته.

فلم يكن في زوجـــات رســـول الله(ص)، وآل عقيل، وآل عبـاس، وآل جعفـر وغيرهم ممّن ينتمون الى رسول الله(ص) بنسب أو سبب من يدّعي العصمة، وإن الله قد أذهب عنه كل رجس وطهّره تطهيراً.

فهو ادعاء شاق أن يكون الانسان واثقاً من نفسه ثقة مطلقة، لا يخالجه فيها شك أنّه لن يرتكب مخالفة ومعصية صغيرة كانت أو كبيرة في حياته مطلقاً في الـرخـاء والشدّة، واليسر والعسر، والسعة والفقر، وفي الحالات العادية وحالات الغضب.

ولم نعهد نحن مثل هذه الدعوى الكبيرة من أحد ممّن ادّعى أنّه من آل رسول الله وغيرهم في عصر نزول الآية الكريمة، عدا الخمسة الطاهرة الذين اتفق المفسّرون على شمول الآية الكريمة لهم.

وقد ظهرت من كثير ممن ادّعى أنّه من (أهل البيت) الذين أذهب الله عنهم الـرّجس مخالفات ومعاصي لاتتّفق مع التقوى، فضلاً عن العصمة والنزاهة عن كلّ رجس.

ولا يبقى غير الخمسة الطاهرة: رسول الله(ص) وعلي والزهراء والحسن والحسـين عليهم السـلام، وهم داخلون في آية التـطهير بالتأكيد، وباتّفاق الروايات تقريباً.

وينطبق عليهم الشرطان السابقان:

فهم يدّعون لأنفسهم العصمة، كما سيمر علينا ذكر ذلك، بينما لم يتّفق لأحد من غيرهم من زوجات رسول الله(ص) وسائر ذويه مثل هذا الادعاء.

وبـالمراجعة الدقيقة لحياتهم، لا نكاد نجد في حياة واحد منهم، نقطة خلاف أو مفارقة أو استفهام.

وقد كانت دعوى العصمة معروفة منهم، ومع ذلك لم يحص أحد مفارقة أو خلافاً في المراحل المختلفة من حياتهم، رغم أنّهم كانوا يعيشون فيمابين الناس، ويسلكون مسالك الناس في الحياة والمعاش، ويقيمون مع الناس، مايقيم النـاس بعضهم مع بعض من علاقـات اجتـماعية، وكانت أعمالهم ومواقفهم تحت الأضواء دائماً، وبمرأى ومسمع من الناس.

ولو كانت تصدر عنهم مخالفة أو مفارقة في كلام أو عمل أو موقف، لنقل إلينا، فيما نقل التاريخ من سلوكهم وكلماتهم.

فينحصر أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس في عصر نزول الآية الكريمة إذن في الخمسة الطاهرة.

ويتلخّص مّما تقدّم النقاط التالية:ـ

١ـ لا شك في شمول الآية الكريمة للخمسة الطاهرة عليهم السلام، بموجب كل الروايات المنقولة، عدا مايروى عن عكرمة، وقد عرفنا حاله

وحال روايته، فيكون شمول الآية الكريمة لهم اذن موضع الاتفاق على كل تقدير، على تقدير الاستناد على الروايات، وعلى تقدير الاستناد على اطلاق كلمة (أهل البيت) في الآية الكريمة.

وأمّا زوجات النبي (ص) وسائر ذويه، فلا تشملهم الآية الكريمة إلاّ بناء على الاستناد على اطلاق كلمة أهل البيت.

والاستناد على اطلاق كلمة أهل البيت لا يزيد على أن يكون من الاجتهاد، وهو أمر مقبول، إلاّ أنّ هذا الاجتهاد يسقط في قبال النصوص الواردة في حصر أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرجس في الخمسة الطاهرة فحسب، وبذلك لا يبقى لهذا الاطلاق والاجتهاد محل في البحث.

٢ـ ومع غض النظر عن النصوص والأحاديث الواردة، فإنّ الآية الكريمة تشمل باطلاقها الخمسة الطاهرة، وأمهات المؤمنين وسائر أهل بيت رسول اللّه(ص) على نحو سواء، إلاّ أنّ الآية الكريمة تنفي عنهم الرجس أيضاً نفياً قاطعاً، وتثبت لهم العصمة من كل رجس وذنب بموجب ما تقدّم من تحليل في هذا البحث. وهو خير محك لاختيار صحة التمسّك باطلاق الآية الكريمة، ومن يدّعي دخول هذه الآية، استناداً على اطلاق كلمة أهل البيت.

فيخرج من نطاق هذه الآية، رأساً، من كان لا يدّعي مثل هذه العصمة المطلقة، أو كان سلوكه وعمله ينفي هذه العصمة.

٣ـ وبمراجعة تاريخ أمهات المؤمنين وسائر ذوي رسول اللّه(ص) من غير الخمسة الطاهرة الذين سمّيناهم، نرى أنّ هذا الشرط غير متحقق فيهم قطعاً، فلم يعهد منهم مثل هذا الادعاء أبداً.

والانسان أدرى بنفسه من غيره، ولو أنهم كانوا يرون في أنفسهم هذه الموهبة الالهية لعرف عنهم ذلك واشتهر، ثم لا تخلو حياتهم بعد ذلك من مفارقات كبيرة أو صغيرة، مما ينفي قطعاً احتمال دخولهم في أهل البيت الذين

أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

٤ـ وأمّا الخمسة الطاهرة عليهم السلام، فانهم لم يخفوا دعوى العصمة، ولا يجد انسان مشقّة كبيرة أن يستظهر ادّعاء العصمة المطلقة من خلال كلامهم.

ثم لم يصدر عنهم مطلقاً، ما ينافي هذا الادعاء على امتداد حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية ومواقفهم رغم أنّهم عليهم السلام مروا بظروف سياسية واجتماعية دقيقة، وتعرضوا لكثير من التحدي والظلم والخصومات السياسية، وكانت الدواعي متوفرة في تسجيل المفارقات والخلافات عليهم لو أنّهم كانوا يرتكبون شيئاً منها في حياتهم.

وادعاء العصمة نفسها كافية في أن تعرضهم لكثير من التحدي من قبل خصومهم الكثيرين، في النيل من مكانتهم وسمعتهم الدينية.

وبذلك فإنّ الآية الكريمة، بنفسها، وبغض النظر عن الأحاديث المتواترة الواردة في تفسيرها تكفي في تحديد وتعيين أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

﴿ويطهّركم تطهيراً﴾

وهذه الكلمة، بعد قوله تعالى: ليذهب عنكم الرجس، إمعان في التنزيه والتطهير والعصمة لأهل البيت عليهم السلام.

فكأنّما الآية الكريمة تشير الى أن اللّه تعالى بعد أن أذهب عنهم الرجس، فخلت نفوسهم وصدورهم من أي رجس وذنب، طهّر اللّه قلوبهم وصدورهم، بعد ذلك من آثار الرجس أيضاً، فلم يبق في نفوسهم رجس أو أثر لرجس، يأتي من البيئة أو التاريخ مهما كان ضعيفاً أو قليلاً.

فإنّ ذهاب الرجس لا يعني دائماً ذهاب آثاره ومخلّفاته في النفس.

وفي أهل البيت عليهم السلام: أذهب الله عنهم الرجس، ثم طهّرهم تطهيراً، فلم يترك في نفوسهم الطاهرة الشريفة أثراً لرجس أو ذنب أو هوى.

وهذا غاية ما يمكن أن يوصف به مقام العصمة والنزاهة والسمو الروحي في ولي من أولياء الله. ممن اختارهم الله واجتباهم لرسالته ودعوته وللامامة في خلقه. فلا يجوز أن يذهب الله تعالى من الانسان الرجس، ويطهّره تطهيراً بمشيئته وقدرته، وبعد ذلك كلّه يبقى في نفس هذا الانسان رجس أو أثر من الرجس، يبعثه على ارتكاب ذنب أو مخالفة صغيرة أو كبيرة.

فالآية الكريمة ـ إذن ـ واضحة الدلالة على العصمة، لو أننا تعاملنا معها بما نتعامل مع أي كلام عربي مبين، فضلاً عن أنّه أفضل الكلام وأبينه، وأمتنه.

وقد ورد بهذه الصيغة القوية الواضحة المبيّنة: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾. وكما هي واضحة في معنى العصمة، واضحة أيضاً في تحديد أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهم الخمسة الذين صرّح بهم رسول الله(ص) وآله وتواترت بهم الروايات.

١ـ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٢ـ وأبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣ـ والصدّيقة الزهراء عليها السلام.

٤ـ والامام المجتبى الزكي الحسن بن علي عليه السلام.

٥ـ والامام سيد الشهداء أبو عبدالله الحسين عليه السلام.

نتائج البحث عن آية التطهير

التنزيه من الكذب:

وأهم ما نستنتجه من البحث في آية التطهير أنّ هؤلاء الخمسة من أهل البيت عليهم السلام صادقون، لا يجوز عليهم الكذب، ولا يجوز إسناد الكذب إليهم.

فإنّ الكذب من أفحش الرجس الذي نزّههم اللّه تعالى عنه، والصدق من أول معاني طهارة النفس التي حباهم اللّه تعالى بها.

فاذا صحّ عنهم قول أو رواية فإنّهم لا شك صادقون، لا يجوز أن نسند الكذب إليهم، ولا يجوز أن نشك في صدق كلامهم أو روايتهم، فإنّ تكذيبهم في قول أو رواية تكذيب لآية محكمة من كتاب اللّه نزلت في تنزيههم من كل رجس، وتطهيرهم من كل ذنب وريب.

ومن هذا المنطلق الواضح القوي، ننطلق في استعراض مكانة أهل البيت ومراتبهم التي رتّبهم اللّه تعالى فيها، وأشخاصهم الذين اجتباهم اللّه تعالى في كل عصر أئمة لعباده وهداة الى دينه.

وفيما يأتي نستعرض هذه النقاط بإيجاز:

١ـ خلافة أمير المؤمنين وإمامته بعد رسول اللّه(ص):

وهو أمر لا يشك فيه من استعرض طرفاً من سيرة أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام. فقد كان يرى أنّه هو صاحب الحق في إمامة الأمة

وخلافة رسول اللّه(ص) بعد وفاته(ص). وقد علم الكل برأي الامام عليه السلام في حقه في الأمر، والاطالة فيه إطالة في الواضحات.

وإنّما لم يسلك عليه السلام مسلك المعارضة في حياته مع الخلفاء الذين تولّوا الأمر بعد رسول اللّه(ص) واحداً بعد آخر. ودافع عنهم، ونصحهم، وبذل أقصى ما يمكن من جهد في نصيحتهم والدفاع عنهم وحفظ شؤونهم، إيماناً منه عليه السلام بأنّ مصلحة الاسلام الكبرى في وحدة صف المسلمين ووحدة موقفهم وكلمتهم فوق أي اعتبار آخر. ولا يجوز التفريط في هذا الأمر لأحد من المسلمين.

ولذلك كلّه زجر أبا سفيان عندما عرض عليه أن يبايعه، يوم السقيفة، ويملأ الدار خيلاً ورجلاً. وردّ العباس عمّ رسول اللّه(ص) عندما عرض عليه البيعة فقال: امدد يدك أبايعك فيقول الناس عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول اللّه. ردّ أولئك جميعاً إيثاراً لوحدة صف المسلمين وحفظ حرمة كيان الدولة الاسلامية، وبعد أن واجه الأمر الواقع.

واسمعه عليه السلام في خطبته الشقشقية يروي هذه القصة بلهجة حزينة، في شقشقة هدرت ثم قرت:

(أما واللّه لقد تقمّصها فلان، وإنّه ليعلم أن محلّي منها محل القطب من الرحى، ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتأي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه فرأيت أنّ الصبر على هاتا أحجي، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهباً... إلخ)[١٢٩].

---

(١٢٩) خطبة الشقشقية في نهج البلاغة/الشيخ محمد عبده/(ج١/ص ٢٥).

خلافة علي(ع) في روايات أهل البيت:

وقد تواتر النقل عنه عليه السلام أنّ رسول اللّه(ص) قد عيّنه من بعده خليفة له(ص)، وإماماً على المسلمين وإليك بعضاً من هذه الروايات:

١ـ فقد أخرج في إكمال الدين بالاسناد الى الأصبغ بن نباته قال: خرج علينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ذات يوم ويده في يد ابنه الحسن، وهو يقول: خرج علينا رسول اللّه(ص) ويده في يدي هكذا وهو يقول: خير الخلق بعدي وسيّدهم أخي هذا، وهو إمام كلّ مسلم وأمير كلّ مؤمن بعد وفاتي.

٢ـ وأخرج الصدوق في الاكمال أيضاً بسنده الى الامام الرضا عن آبائه مرفوعاً الى رسول اللّه(ص) قال: من أحبّ أن يتمسّك بديني، ويركب سفينة النجاة بعدي، فليقتد بعلي بن أبي طالب، فإنّه وصيّ وخليفتي على أمّتي.

٣ـ وأخرج الصدوق في الاكمال في حديث طويل ذكر فيه اجتماع أكثر من مئتي رجل من المهاجرين والأنصار في المسجد على عهد عثمان، يتذاكرون العلم والفقه، وإنّهم تفاخروا بينهم، وعلي ساكت، فقالوا له: ياأبا الحسن ما يمنعك أن تتكلّم، فذكّرهم بقول رسول اللّه(ص): (علي أخي ووزيري ووارثي ووصيي وخليفتي في أمتي، وولي كل مؤمن بعدي) فأقرّوا له بذلك.

٤ـ وأخرج الصدوق بسنده الى علي عليه السلام في حديث طويل قال فيه رسول اللّه(ص): إنّ علياً أمير المؤمنين بولاية من اللّه عز وجل، عقدها فوق عرشه، وأشهد على ذلك ملائكته، وإنّه لامام المسلمين.

٥ـ وأخرج الصدوق في أماليه بسنده الى أمير المؤمنين قال:

(خطبنا رسول اللّه(ص) ذات يوم، فقال: أيّها الناس قد أقبل شهر رمضان، ثم ساق الحديث في فضل شهر رمضان. قال علي: فقلت يارسول اللّه، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر. قال: الورع عن محارم اللّه، ثم بكى،

فقلت: ما يبكيك. فقال: ياعلي أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر، الى أن قال: يا علي أنت وصيّي وأبو ولدي، وخليفتي على أمّتي في حياتي وبعد موتي، أمرك أمري، ونهيك نهيي).

٦ـ وأخرج الصدوق في أماليه أيضاً عن علي عليه السلام قال:

(قال رسول الله(ص) ياعلي أنت أخي وأنا أخوك، أنا المصطفى للنبوة، وأنت المجتبى للامامة، أنا صاحب التنزيل، وأنت صاحب التأويل، وأنت أبو هذه الأمة. ياعلي: أنت وصيي وخليفتي ووزيري ووارثي وأبو ولدي).

٧ـ أخرج الشيخ في أماليه بالاسناد الى علي عليه السلام أنه قال على منبر الكوفة:

(أيّها الناس أنّه كان لي من رسول الله عشر خصالٍ هن أحب إلي ممّا طلعت عليه الشمس.

قال لي: ياعلي أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت أقرب الخلائق إلي يوم القيامة، ومنزلك في الجنة مواجه منزلي، وأنت الوارث لي، وأنت الوصي من بعدي في عدتي وأسرتي، وأنت الحافظ لي من أهلي عند غيبتي، وأنت الامام لأمتي، وأنت القائم بالقسط في رعيتي، وأنت وليي ووليي ولي الله، وعدوك عدوي، وعدوّي عدوّ الله).

٨ـ أخرج الصدوق في كتاب النصوص على الأئمة باسناده الى الحسن ابن علي، قال:

(سمعت رسول الله(ص) يقول لعلي: أنت وارث علمي ومعدن حكمي، والامام من بعدي).

٩ـ وأخرج الصدوق في كتاب النصوص على الأئمة أيضاً بسنده الى علي، قال: قال رسول الله (ص):

(أنت الوصي على الأموات من أهل بيتي، والخليفة على الأحياء من

أمتي).

١٠ـ وأخرج الصدوق في أماليه بسنده الى الامام الرضا عن آبائه مرفوعاً الى رسول اللّه(ص)، قال:

(علي منّي وأنا من علي. قاتل اللّه من قاتل عليّاً. علي إمام الخليقة بعدي)[١٣٠].

وكيفما يكون الأمر والنقاش، فإنّ من الواضح أنّ أهل البيت الطاهرين عليهم السلام، كانوا يرون أنّ أمر الامامة والخلافة بعد رسول اللّه(ص) لعلي عليه السلام. وإن شككنا في صحة إسناد رواية أو روايتين إليهم في هذا الشأن، فلا يمكن التشكّك في صحّة اسناد عامة الروايات المنقولة عنهم عليهم السلام بالتواتر، عن طرق السنة والشيعة في أنّ رسول اللّه(ص) قد أسند أمر الامامة من بعده الى علي عليه السلام.

وقد كانت دعوى الامامة معروفة من أهل البيت عليهم السلام عند عامة المسلمين. والشيعة لم يبتدعوا في ذلك رأياً أو مذهباً جديداً، وإنّما يذهبون في ذلك مذهب آل البيت وهو شيء معروف عن آل البيت وشيعتهم قديماً وحديثاً.

٢ـ إستمرار الإمامة في آل البيت عليهم السلام:

وهذا المعنى وارد بصراحة في حديث الثقلين الذي نقله متواتر وصحّح كثيراً من أسانيده أئمة الحديث من الفريقين:

(اني تارك فيكم خليفتين: كتاب اللّه حبل ممدود مابين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)[١٣١].

---

(١٣٠) نقلنا هذه الروايات عن كتاب المراجعات/للامام شرف الدين رحمه اللّه.

(١٣١) راجع رسالة حديث الثقلين.

وهذا الحديث صريح في استمرار أهل البيت الذين جعلهم اللّه أئمة على خلقه وأدلّة على صراطه الى يوم القيامة (حتى يردا علي الحوض) باستمرار الثقل الأول وهو القرآن الكريم.

يقول ابن حجر الهيثمي:

(وفي أحاديث الحث على التمسّك بأهل البيت إشارة الى عدم انقطاع متأهّل منهم للتمسّك به الى يوم القيامة، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض، كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي)[١٣٢].

إستمرار الامامة في أهل البيت بعد علي (ع):

وقد ورد تسلسل أسماء أهل البيت الذين جعلهم اللّه تعالى أئمة للناس، واحداً بعد الآخر، وعصمهم اللّه من كل رجس وذنب وريب في أحاديث أهل البيت أنفسهم، إجمالاً وتفصيلاً وتلميحاً وتصريحاً، وكثير من هذه الروايات وردت بطرق صحيحة.

ويكفينا ونحن نعرف خمسة منهم، شملتهم آية التطهير في عصر نزولها، أن نتعرّف الى أسماء غيرهم ممن يخلّفونهم في الامامة، والعصمة عن طريقهم، ثم نعرف من يليهم من بعدهم في الامامة والعصمة بواسطتهم وهكذا بالتسلسل.

وفيما يأتي نماذج من هذه الأحاديث:

١ـ أخرج الصدوق في إكمال الدين بإسناده عن علي عليه السلام قال: (قال رسول اللّه(ص): الأئمة بعدي إثني عشر: أوّلهم أنت ياعلي،

---

(١٣٢) الصواعق المحرقة/ص ١٤٩.

وآخرهم القائم الذي فتح اللّه عزّ وجلّ على يديه مشارق الأرض ومغاربها).

٢ـ وأخرج الصدوق في كتاب النصوص على الأئمة، بسنده الى الحسين ابن علي عليهما السلام، قال:

(لمّا أنزل اللّه تعالى: ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب اللّه**﴾ سألت رسول اللّه(ص) عن تأويلها، فقال: أنتم أولوا الأرحام، فإذا مت فأبوك علي أولى بمكاني، فإذا مضى أبوك فأخوك الحسن أولى به، فإذا مضى الحسن فأنت أولى به).

٣ـ وأخرج الصدوق في الاكمال بالاسناد الى الامام الصادق عن آبائه مرفوعاً الى رسول اللّه(ص) قال:

(إنّ اللّه عزّ وجلّ اختارني من جميع الأنبياء، واختار منّي علياً وفضّله على جميع الأوصياء، واختار من علي الحسن والحسين، واختار من الحسين الأوصياء، من ولده، ينفون عن الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الضالّين).

٤ـ وأخرج الصدوق في الاكمال أيضاً بسنده الى الامام الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه مرفوعاً الى رسول اللّه(ص) من حديث قال فيه:

(أنا وعلي أبوا هذه الأمة، من عرفنا فقد عرف اللّه، ومن أنكرنا فقد أنكر اللّه عزّ وجلّ، ومن علي سبطا أمتي، وسيّدا شباب أهل الجنّة، الحسن والحسين، ومن ولد الحسين تسعة طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم معصيتي، تاسعهم قائمهم ومهديهم).

٥ـ وأخرج الصدوق أيضاً بسنده الى الامام الصادق عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول اللّه(ص):

(الأئمة بعدي اثنا عشر أوّلهم علي، وآخرهم القائم، هم خلفائي

وأوصيائي)[١٣٣].

والروايات بهذا المعنى كثيرة من أهل البيت في تعيين وتشخيص الاثني عشر إماماً الذين يتولّون الامامة من بعد رسول اللّه(ص) واحداً بعد الآخر، والذين يشكّلون امتداداً لأهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

وقد أورد ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني في الكافي مجموعة الروايات التي تنص على إمامة كل واحد من أئمة أهل البيت عليهم السلام واحداً بعد الآخر من لدن أهل البيت أنفسهم[١٣٤].

ولا يمكن التشكيك في هذه المجاميع من الروايات الكثيرة التي وردت بصورة متسلسلة في تعيين الامام من أهل البيت في كل عصر، فقد وردت هذه الروايات بصورة متواترة، وكثيرة منها بأسانيد حسنة. على أنّ تواترها يغنينا عن البحث في أسانيدها.

وإذا آمنّا بطهارة الخمسة من أهل البيت من كل رجس وعصمتهم من كل ذنب وريب، فلا بدّ لنا أن نعترف بإمامة جميع الاثني عشر إماماً الذين ورد التصريح بأسمائهم في هذه الروايات بالتسلسل، وعصمتهم، واستمرار العصمة والامامة فيهم الى الامام المهدي القائم من آل محمد(ص).

ولا ينافي امتداد العصمة والامامة في أهل البيت ما تقدّم من الروايات في أنّها نزلت في الخمسة الطاهرة فحسب، فان هذه الروايات لا تزيد على حصر أهل البيت الذين كانوا موجودين حين نزول الآية الكريمة في الخمسة الطاهرة. ولا تنفي هذه الروايات امتداد أهل البيت في العصور الأخرى، بل

---

(١٣٣) نقلنا هذه الأحاديث عن المراجعات للامام شرف الدين رحمه اللّه.

(١٣٤) الكافي/ج١/، كتاب الحجّة/ص ٢٩٢_٣٢٩.

بالعكس تصرح بامتداد أهل البيت في كل عصر واستمرار الامامة والعصمة فيهم الى إثني عشر إماماً منهم.

الاثنا عشر خليفة في الأحاديث النبوية:

وقد وردت إشارات الى هذا المعنى في الأحاديث النبوية الواردة عن طرق السنة أيضاً، منها ماروواه البخاري في الصحيح عن جابر بن سمرة قال:

(سمعت النبي (ص) يقول: يكون إثنا عشر أميراً، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي إنّه قال كلّهم من قريش)[١٣٥].

ومنها مارواه مسلم في الصحيح عن رسول اللّه (ص):

(لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلّهم من قريش)[١٣٦].

ومنها مارواه أحمد في المسند عن مسروق قال:

(كنّا جلوساً عند عبداللّه بن مسعود، وهو يقرّئنا القرآن، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن، هل سألتم رسول اللّه(ص) كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبداللّه: ماسألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك، ثم قال: نعم، ولقد سألنا رسول اللّه(ص)، فقال: إثنى عشر كعدّة نقباء بني إسرائيل)[١٣٧].

وروى نظير هذه الأحاديث مع اختلاف في المضمون كل من أبي داود والبزّاز والطبراني بطرق مختلفة[١٣٨]. وليس لهذه الأحاديث من توجيه غير

---

(١٣٥) صحيح البخاري/(ج٩/ص ٨١).

(١٣٦) صحيح مسلم/(ج٦/ص ٤).

(١٣٧) مسند أحمد بن حنبل.

(١٣٨) الأصول العامة للفقه المقارن/ص ١٧٨.

الحمل على الأئمة الاثني عشر من أهل البيت الذين وردت أسماؤهم في روايات أهل البيت.

ولقد شط ناس من العلماء في توجيه وحمل هذه الروايات، وتكلّفوا لها وجوهاً، فيها كثير من الضعف، وقليل من الصواب.

يقول الشيخ محمود أبو رية:

[بعد أن أورد ـ السيوطي ـ ما قاله العلماء في هذه الأحاديث المشكلة، خرج برأي غريب نورده هنا تفكهة للقراء، وهو: (وعلى هذا فقد وجد من الاثني عشر: الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبدالعزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضم إليهم المهدي من العباسيين لأنّه فيهم كعمر بن عبدالعزيز في بني أمية، وكذلك لما أوتيه من العدل، وبقى الاثنان، المنتظران أحدهما المهدي لأنّه من أهل بيت محمد) ولم يبيّن المنتظر الثاني، ورحم اللّه من قال في السيوطي إنّه حاطب ليل!][139].

ولئن شطّ السيوطي وغيره في توجيه هذه الروايات النبوية، فقد اهتدى في توجيهها نفر غير قليل من علماء السنة، كسبط ابن الجوزي الذي ألّف (تذكرة الخواص) في أحوال الأئمة الاثني عشر من آل البيت، وابن الصبّاغ المالكي الذي ألّف (الفصول المهمة) في حياتهم، وابن طولون الذي ألّف كتاب (الأئمة الاثني عشر) وغيرهم.

ومهما يكن من أمر، فإنّ التسليم بدلالة آية التطهير في عصمة الخمسة من آل البيت من الرجس والريب يؤدّي بنا بصورة منطقيّة الى عصمة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام كلّهم ونزاهتم من كل رجس وريب.

---

(١٣٩) اضواء على السنة المحمدية/ص ٢١٢.

٣ـ حجّيّة أحاديث أهل البيت(ع):

وهذه النتيجة من النتائج الكبرى المترتبة على هذه الآية الكريمة، وهي نتيجة فعليّة قائمة في حياة كل انسان مسلم يريد أن يتعبّد باحكام اللّه ويلتزم بحدود اللّه تعالى في الحلال والحرام، ويسأل عن أي مصدر يستقي ويأخذ أحكام اللّه تعالى.

وهـذه هي أهم المسـائـل التي يواجههـا الانسان المسلم في الجانب العقائدي وفي الجانب التشريعي أيضاً. ومن استعراض هذه النتيجة نعرف لماذا يقتصر علماء الشيعة الامامية في معرفة أحكام اللّه تعالى على مذهب أهل البيت. ولا يأخذون بمذهب الجمهور في الاعتماد على اجتهاد الأئمة الأربعة.

وفيما يلي نشرح هذه الحقيقة من مجموعة من النقاط التي تشكل أسس مذهب أهل البيت عليهم السلام.

مذهب أهل البيت (ع)

١ـ أهل البيت صادقون منزّهون عن الكذب:

وهي أدنى مراتب العصمــة في حياتهم، كما انّ الكـذب من أفحش الـرجس الذي نزّههم اللّه تعالى عنه. ولا يجوز لمسلم أن يشك في صدق حديثهم وروايتهم، وقد أذهب اللّه عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيراً، والكذب من أفحش الرجس الذي برّأهم اللّه منه.

والى حدّ ما يتطابق الفـريقـان السنة والشيعة في هذه الحقيقة. فلم أصادف فيها قرأت من كتب الجرح والتعديل والرجال من كتب أئمة السنة من لا ينزّه ساحة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام من كل رجس وكذب وريب.

٢ـ أهل البيت يروون حديث رسول اللّه (ص):

وليس شأنهم عليهم الســلام شأن سائـر المجتهـدين وأئمة المذاهب الاسلامية في الاعتماد على الرأي والاجتهاد في دين اللّه. ولا يصحّ تسميتهم بالمجتهدين وأصحاب الرأي، والمجتـهد قـد يصيب وقد يخطئ، والحالات التي يخطىء فيها لا تقل عن الحالات التي يصيب فيها حكم اللّه تعالى.

وأهل البيت عليهم السلام لا يدخلون قطعاً في عداد هؤلاء المجتهدين وأصحـاب الآراء، ولا مذهب لهم من الـرأي والاجتهاد، وإنّما هم ينقلون

حديث رسول الله(ص) ويحملون إلينا ميراث رسول الله (ص).

فكل حديث صادر عنهم في الأصول أو الأحكام ليس من رأيهم، وليس فيه شيء من اجتهادهم مطلقاً، ولم يمارسوا فيه رأياً أو اجتهاداً، كما يمارسه سائر الفقهاء، وإنّما يستندون في ذلك الى سنة رسول الله (ص) انتهى علمها إليهم، ويروونها عنهم، سواء رووها كما يروي عامة المحدّثين الحديث مسلسلاً الى رسول الله(ص)، أم أرسلوها إرسالاً. وهم عليهم السلام قد بيّنوا هذا المعنى في أكثر من موضع، وإنّهم لا يزيدون شيئاً على سنة رسول الله (ص) ولا ينقصون، ولا يستعملون رأياً في الفقه، وكلّما يقولون في الأصول والفروع إنّما هو من سنة رسول الله (ص) وحديثه الذي انتهى إليهم عليهم السلام.

وفيما يلي نذكر بعض النصوص الواردة عنهم عليهم السلام في هذا الأمر:

١ـ روى الثقة الكليني عن علي بن محمد عن سهل بن زياد عن أحمد ابن محمد عن عمر بن عبدالعزيز عن هشام بن سالم وحمّاد بن عثمان وغيره، قالوا: سمعنا أبا عبدالله (الصادق) عليه السلام يقول:

(حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله(ص) وحديث رسول الله(ص) قول الله عزّ وجلّ)[١٤٠].

٢ـ وروى ثقة الاسلام الكليني رحمه الله عن علي بن إبراهيم، عن محمد ابن عيسى، عن داود بن فرقد، عمن حدثه ابن شبرمة قال: ما ذكرت حديثاً سمعته عن جعفر بن محمد (الصادق) إلاّ كاد أن يتصدّع قلبه. قال: حدّثني

(١٤٠) أصول الكافي/(ج١/ص ٥٣).

أبي عن جدّي عن رسول الله(ص). وقال ابن شبرمة: وأقسم بالله ما كذّب أبوه على جدّه، ولا جدّه على رسول الله. قال: قال رسول الله(ص):

(من عمل بالمقاييس فقد هلك وأهلك، ومن (أفتى الناس بغير علم)، وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك)[141].

٣ـ وروى في أمالي المفيد قال: حدّثني الشيخ الجليل المفيد محمد بن محمد بن النعمان، قال: أخبرني أبو القاسم جعفر بن محمد بن محمد القمّي (ره) قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن عيسى، قال: حدّثني هارون بن مسلم بن علي بن أسباط، عن سيف بن عميرة، عن عمرو بن شمر، عن جابر، قال: قلت لأبي جعفر(ع): إذا حدّثني بحديث فاسنده لي فقال: حدّثني أبي عن جدّي رسول الله(ص) عن جبرئيل عن الله عزّ وجلّ، وكلّ ما أحدّثك بهذا الاسناد. وقال:

(ياجابر، حديث واحد تأخذه عن صادق، خير لك من الدنيا وما فيها)[142].

٤ـ روى الحر العاملي في الوسائل عن علي بن موسى بن جعفر بن طاووس في كتاب الاجازات قال: ممّا رويناه من كتاب حفص بن البختري قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: نسمع الحديث منك فلا أدري منك سماعه أو من أبيك، فقال:

(ما سمعته منّي فأروه عن أبي، وما سمعته منّي فأروه عن رسول الله (ص))[143].

(١٤١) أصول الكافي/(ج١/ص ٤٣).

(١٤٢) أمالي المفيد/ص ٢٦.

(١٤٣) وسائل الشيعة/(ج٣/ص ٣٨٠).

٥ـ في بصائر الدرجات: حدّثنا إبراهيم بن هاشم عن يحيى بن أبي عمران، عن يونس، عن عنبسة، قال:

(سأل رجل أبا عبدالله عن مسألة فأجابه فيها، فقال الرجل: إن كان كذا ماكان القول فيها، فقال له: مهما أجبتك فيه بشيء فهو عن رسول الله، لسنا نقول برأينا من شيء)[١٤٤].

٦ـ وروى ثقة الاسلام الكليني، عن علي بن محمد بن عيسى، عن يونس، عن قتيبة، قال:

(سأل رجل أبا عبدالله (الصادق) عليه السلام عن مسألة، فأجابه فيها، فقال الرجل: أرأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها. فقال له: مه، ماأجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله، لسنا من: أرأيت في شيء)[١٤٥].

٧ـ وروى في بصائر الدرجات قال: حدّثنا يعقوب بن يزيد عن محمد ابن أبي عمير، عن عمرو بن أذينة، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام إنّه قال:

(لو إنّا حدّثنا برأينا ضللنا كما ضلّ من كان قبلنا، ولكنّا حدّثنا ببيّنة من ربّنا، بيّنها لنبيّه، فبيّنها لنا)[١٤٦].

٨ـ وفي الكتاب نفسه، حدّثنا أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن فضيل بن يسار، عن جعفر (الصادق) عليه السلام، إنّه قال:

(بيّنة من ربّنا بيّنها لنبيّه (ص)، فبيّنها نبيّه(ص) لنا، فلولا ذلك كنّا

---

(١٤٤) بصائر الدرجات/ص ٨٦.

(١٤٥) أصول الكافي/(ج١/ص ٥٨).

(١٤٦) بصائر الدرجات/ص ٨٥.

كهؤلاء الناس)[147].

٩- وفي الكتاب نفسه أيضاً. حدّثنا عبدالله بن عامر، عن عبدالله بن محمد الحجّال، عن داود بن أبي يزيد الأحول، عن أبي عبدالله (الصادق) عليه السلام، قال سمعته يقول:

(إنّا لو كنّا نفتي الناس برأينا وهوانا، لكنّا من الهالكين، ولكنّها آثار من رسول الله (ص) أصل علم نتوارثها كابراً عن كابر نكنزها، كما يكنز الناس ذهبهم وفضّتهم)[148].

١٠- وفيه أيضاً: حدّثنا حمزة بن يعلي، عن أحمد بن النضر، عن عمرو ابن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام، قال:

(ياجابر، إنّا لو كنّا نحدّثكم برأينا وهوانا، لكنّا من الهالكين، ولكنّا نحدّثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله (ص)، كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم)[149]/[150].

٣- النص قبل الاجتهاد:

وانطلاقا مّما تقوم فإنّ أحاديث أهل البيت عليهم السلام وأقوالهم ليست من الرأي، والاجتهاد في شيء، وإنّما هي سنة رسول الله(ص) وآثاره أودعها عند أهل بيته، وتوارثوها عليهم السلام عنه(ص)، ونقلوها إلينا في الأصول والأحكام، وسجّلها عنهم الثقات من المحدّثين.

---

(١٤٧) بصائر الدرجات/ص ٨٦.

(١٤٨) بصائر الدرجات/ص ٨٥.

(١٤٩) بصائر الدرجات/ص ٨٥.

(١٥٠) نقلنا هذه الأحاديث جميعاً عن كتاب (جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة)/(ج١/ص ١٧ ١٨)/ط١.

فإذا آمنا ـ بموجب دلالة آية التطهير ـ بأنهم مطهّرون من كل كذب وريب، وصادقون فيما يقولون ويروون، فلا يجوز العدول عن أحاديثهم الى الاجتهاد والرأي، وإن كان اجتهاداً ورأياً في حديث رسول اللّه (ص).

فإنّ من غير الجائز ممارسة الاجتهاد، والأخذ بالرأي مع وجود النص الصريح، فإنّ الاجتهاد إنّما يضطر إليه الفقيه عند إجمال السنة، أو غموضه من حيث المتن، أو ضعفه من حيث السند، أو تعارضه في المدلول مع حديث آخر، أو فقدان الدليل من الكتاب والسنة رأساً. أمّا حيث يوجد دليل من الكتاب أو سنة رسول اللّه(ص)، نص في الحكم الشرعي، واضح الدلالة وقوي السند، فلا مساغ لاستعمال الرأي وممارسة الاجتهاد مطلقاً، باتّفاق من علماء الأصول.

ولّما كان حديث أهل البيت نصوص من سنة رسول اللّه(ص)، بحكم ما تقدم من صدقهم، وإنّهم لا يزيدون على رواية حديث رسول اللّه(ص)، فلا يسوغ اللّجوء الى الاجتهاد والرأي قبل الرجوع إليهم.

ويترتّب على ذلك أمران جوهريّان:

أولاً: لا يمكن اعتبار اتجاه أهل البيت عليهم السلام في الأصول والأحكام الاسلامية مذهباً في عداد المذاهب الاسلامية الأخرى في الأصول والفروع، فإنّ المعنى الاصطلاحي للمذهب، الاتجاه القائم على الرأي والاجتهاد الخاص في فهم الاسلام أصولاً، وأحكاماً. وإذا كان أهل البيت ينفون عن أنفسهم واتجاههم أي رأي أو اجتهاد شخصي، وإنّما ينقلون إلينا بأمانة وصدق سنة رسول اللّه(ص) وحديثه، فاتجاههم لا يشكّل مذهبا في الاسلام، بالمعنى المصطلح المعروف من المذهب.

وثانياً: يعتقد الشيعة إنّه من غير السائغ الرجوع الى مذهب من المذاهب الفقهية والأصولية، وممارسة مذهب جديد فيهما قبل الرجوع الى

أحاديث أهل البيت وكلماتهم والتراث التشريعي المنقول عنهم، فإنّ ممارسة الاجتهاد في قبال كلماتهم وأحاديثهم من قبيل الاجتهاد في قبال النص، وهو أمر غير جائز قطعاً.

٤ـ كيف استقى أهل البيت (ع) من رسول الله (ص):

وهو سؤال لا شك يختلج في ذهن الانسان، وهو يواجه هذا التراث الضخم الذي ورثه أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله(ص) من الأصول والأحكام، وفي الكليات والجزئيات والتفريعات الدقيقة للأحكام، وفي التفسير والأخلاق والتاريخ.

والجواب: إنّنا بعدما عرفنا في آية محكمة في كتاب الله إنّهم صادقون، لا يقولون كذباً ولا يدعون باطلاً، فإنّا غير مسؤولين بعد ذلك أن نعرف كيف تلقّوا العلم عن رسول الله(ص)، وفي أي فرصة طويلة، كان علي عليه السلام يخلوا الى رسول الله(ص)، ليأخذ منه العلم، ليتسلسل هذا العلم بعد ذلك في أبنائه، إماماً بعد إمام.

فإنّ كيفيات التلقي للعلم مختلفة، وليست كلّها بالكيفيّات التي نعرفها، في تلقّي الطلاب عن أساتذتهم. فإنّ من هذه الكيفيّات ماهو معروف، يتداوله الناس، وما هو من الغيب الذي ستر الله تعالى عنّا علمه، ولا يمكن أن يدّعي أحد أن التلقي للعلم ينحصر في هذه الكيفية المعروفة الشائعة فيما بين الناس في المدارس والمعاهد.

والقرآن الكريم ينقل لنا قصة الذي آتاه الله علماً من الكتاب في جهاز سليمان عليه السلام، حيث جاء بعرش بلقيس الى سليمان الى سبأ، قبل أن يرتد الى سليمان طرفه:

﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك

طرفك﴾[151].

فما هذا العلم؟ ومن أين تلقاه؟ وكيف تلقاه؟.

لا نعلم، وإنّما نعلم أنّ هذا الشيء قد حدث، وكان فعلاً، والقرآن صرّح به، وكفى.

ومثل آخر في القرآن الكريم، العبد الصالح الذي آتاه الله تعالى من لدنه علماً، وطلبه كليم الله تعالى موسى عليه السلام ليتّبعه، ليتعلّم منه مما علّمه الله تعالى رشداً، وهو كليم الله تعالى وصفيه ونجيبه ورسوله.

ويصف القرآن الكريم لقاء موسى عليه السلام بالعبد الصالح بهذا الوصف الرائع:

﴿فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علماً. وقال له موسى هل أتّبعك على أن تعلّمن مما علّمت رشداً﴾[152].

فهذا عبد من عباد الله تعالى، آتاه الله من لدنه رحمة، وآتاه من لدنه علماً، وجاء إليه موسى عليه السلام، وهو رسول الله وكليمه، يطلب منه أن يأذن له بأن يتّبعه ويتعلّم منه مما علّمه الله رشداً.

فكيف استحق هذا العبد الصالح هذا العلم الغزير من لدن الله، والذي كان يجهله موسى عليه السلام على ماله من الشأن والمقام عند الله، وكيف أخذ هذا العلم، وكيف استوعبه. تلك أمور مجهولة لنا، ولسنا مسؤولين بأن نتكلّف له جواباً مادمنا قد عرفنا صحته من مصدر صادق لا يرقى إليه الشك.

وتوجيه طريقة تلقي أهل البيت هذا العلم الغزير والجم من علم رسول الله(ص) وسنّته لا يختلف أمره عن هذا الأمر، ولسنا نجد إلزاما لنا في أن

---

(١٥١) النمل/٤٠.

(١٥٢) الكهف/٦٥ـ٦٦.

نتكلّف له جواباً وتوجيهاً.

ويكفينا أن تعلم أنّ الله تعالى قد طهّرهم من كل ريب ورجس. والكذب من أوضح مصاديق الرجس، فهم منزّهون عن الكذب، ولا يرقى الشك الى صدقهم.

فإذا ذكروا بأنّهم قد ورثوا علم رسول الله(ص) وسنته في الأصول والفروع، وانّ لديهم من علم رسول الله(ص) وحديثه وسنته، ما لبس عند غيرهم، فهم مصدّقون في كلامهم ودعوتهم. ونعلم أنّهم لا يدعون جزافاً وباطلاً. فنأخذ عنهم العلم والحديث والفقه في الحلال والحرام، وفي الأصول والأحكام، وفي حدود الله وشريعته. ونتعبّد بأحاديثهم ورواياتهم على أنّها أحاديث رسول الله(ص) ورواياته، صحّت عنه بطريق صادق سليم لا يرقى إليه الشك، وقد جاء قرآن محكم من لدن الله بصدقهم ونزاهتهم عن الكذب.

على أنّنا لا نعدم بعض الايضاحات في هذا الشأن من أهل البيت عليهم السلام بالذات، تشير الى طرف منها.

أ ـ رسول الله(ص) يخص عليها(ع) بما لا يخص به غيره من العلم:

١ـ روى ثقة الاسلام الكليني رحمه الله، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبان بن أبي عياش في حديث طويل، عن سليم بن القيس الهلالي، يسأل الامام عليّاً عليه السلام فيه عن علمه من رسول الله وعلم سائر الصحابة، والحديث طويل، ننقل مقدار الحاجة. قال عليه السلام:

(وليس كل أصحاب رسول الله(ص) كان يسأله عن الشيء فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهمه، حتى ان كانوا ليحبّون أن يجيء الاعرابي والطارئ فيسأل رسول الله(ص) حتى يسمعوا.

وقد كنت أدخل على رسول الله(ص) كل يوم دخلة، وكل ليلة دخلة،

ب ـ الكتاب الذي أملاه رسول اللّه (ص) على علي عليه السلام في الأحكام، واسم هذا الكتاب (الجامعة)، وقد أملاه رسول اللّه (ص) في مجالسه الخاصة على علي عليه السلام، وخطّة علي عليه السلام بيمناه، وهو كتاب يشمل كل ما يتعلّق بالحلال والحرام وحدود اللّه تعالى، بل في بعض الروايات، يشتمل على القرآن والانجيل والزبور، وقد ورد أنّه كان بمقدار سبعين ذراعاً، وكان الأئمة من أهل البيت يحفظونه ويكنزونه جيلاً بعد جيل، كما يكنز الناس ذهبهم وفضّتهم أو أشدّ حفظاً، وكانوا يرجعون إليه كلّما أحوجهم الأمر إليه.

١ـ روي في بصائر الدرجات عن علي بن الحسن بن الحسين السجاني عن مخول بن إبراهيم عن أبي مريم، قال: قال لي أبو جعفر (الباقر):

(عندنا الجامعة، وهي سبعون ذراعاً، فيها كل شيء حتى إرش الخدش، إملاء رسول اللّه (ص) وخطّ علي (ع))[١٥٥].

٢ـ وفي بصائر الدرجات أيضاً، عن أحمد بن محمد عن الحسن بن علي، عن عبداللّه بن سنان، عن أبي عبداللّه (الصادق) عليه السلام، قال: سمعته يقول:

(إنّ عندنا جلداً سبعون ذراعاً، أملي (أملاه: ظاهراً) رسول اللّه (ص) وخطّه علي بيده، وإنّ فيه جميع ما يحتاجون إليه حتى إرش الخدش)[١٥٦].

٣ـ وروي ثقة الاسلام الكليني رحمه اللّه، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن صالح بن سعيد، عن أحمد بن أبي بشير، عن بكر بن كرب الصيرفي، قال: سمعت أبا عبداللّه (الصادق) عليه السلام يقول:

---

(١٥٥) بصائر الدرجات/ص ٤٣.

(١٥٦) بصائر الدرجات/ص ٣٩.

(إنّ عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وإنّ الناس ليحتاجون إلينا، وإنّ عندنا كتاب: إملاء رسول اللّه (ص)، وخطّ علي (ع)، صحيفة فيها كل حلال وحرام)[157].

٤ـ وفي بصائر الدرجات، عن محمد بن الحسين، عن جعفر بن بشير، عن الحسين، عن أبي مخلد، عن عبدالملك، قال: (دعا أبو جعفر (الباقر) بكتاب علي، فجاء به جعفر (الصادق) مثل فخذ الرجل مطوي، فاذا فيه: (إنّ النساء ليس لهن من عقار الرجل إذا هو توفّي عنها شيء) فقال أبو جعفر: هذا واللّه إملاء رسول اللّه(ص) وخطّه علي بيده)[158].

٥ـ وروى الشيخ الطوسي رحمه اللّه في التهذيب، عن موسى بن القاسم، عن صفوان، عن علاء، عن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام (الباقر أو الصادق) قال:

(إنّ في كتاب علي(ع): إذا طاف الرجل بالبيت ثمانية أشواط الفريضة، واستيقن ثمانية، أضاف إليها ستاً، وكذا إذا استيقن أنّه سعى ثمانية أضاف إليها ستاً).

٦ـ وفي رجال النجاشي، قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد، عن محمد ابن أحمد، عن الحسن، عن عباد بن ثابت، عن ابن مريم عبدالغفار بن القاسم، عن عذافر الصيرفي، قال: كنت مع الحكم بن عتيبة عند أبي جعفر (الباقر)(ع)، فجعل يسأله، وكان أبو جعفر (ع) له مكرماً، فاختلفا في شيء، فقال: أبو جعفر (الباقر) (ع): يا بني، قم، فاخرج كتاباً مدروجاً عظيماً، ففتحه وجعل ينظر حتى أخرج المسألة، فقال أبو جعفر الباقر: هذا خطّ علي

---

(١٥٧) أصول الكافي/(ج١/ص ٢٤١).

(١٥٨) بصائر الدرجات/ص ٤٤.

(ع) وإملاء رسول الله(ص)[159][160].

أئمة أهل البيت (ع) يتوارثون كتاب الجامعة:

وقد كان أهل البيت عليهم السلام يتوارثون كتاب الجامعة جيلاً بعد جيل، وواحداً بعد آخر، ويروون عنه سنة رسول الله(ص) وحديثه.

١ـ في بصائر الدرجات، حدّثنا الحسن بن علي عن أحمد بن هلال، عن أمية بن علي، عن حصاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر عليه السلام، قال:

(قال رسول الله (ص) لأمير المؤمنين (علي): اكتب ما أملي عليك. قال علي (ع): يا نبيّ الله، وتخاف النسيان. قال: لست أخاف عليك النسيان، وقد دعوت الله أن يحفظك فلا ينسيك، لكن اكتب لشركائك. قال: قلت: ومن شركائي يا نبيّ الله. قال: الأئمة من ولدك)[161].

٢ـ وروي في بصائر الدرجات، عن أبي القاسم، عن محمد بن يحيى العطّار، قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصفار، قال: حدّثنا محمد بن الحسين، عن صفوان، عن العلى بن خنيس، عن أبي عبدالله (الصادق) عليه السلام، قال:

(إنّ الكتب كانت عند علي (ع)، فلمّا سار إلى العراق استودع الكتب أمّ سلمة، فلمّا مضى علي (ع) كانت عند الحسن، فلما مضى الحسن(ع) كانت عند الحسين (ع)، فلمّا مضى الحسين كانت عند علي بن الحسين ثم كانت عند

---

(١٥٩) رجال النجاشي/ص ٢٥٥.

(١٦٠) نقلنا هذه الروايات من كتاب جامع أحاديث الشيعة من أحكام الشريعة/ج١.

(١٦١) بصائر الدرجات/ ص ٤٥.

أبي)[١٦٢].

٣ـ وفي الكافي، عن سليم بن قيس، قال: شهدت وصية أمير المؤمنين حين أوصى إلى ابنه الحسن (ع)، وأشهد على وصيته الحسين ومحمد وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال لابنه الحسن:

(يا بني: أمرني رسول اللّه (ص) أن أوصي إليك، وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصي إلي رسول اللّه (ص)، ودفع إلي كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثم أقبل على ابنه الحسين، فقال: وأمرك رسول اللّه (ص) أن تدفعه إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين، ثم قال لعلي بن الحسين: وأمرك رسول اللّه (ص) أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي، واقرأه من رسول اللّه (ص) ومني السلام)[١٦٣].

٤ـ وفي كتاب الغيبة للشيخ الطوسي، ومناقب ابن شهر آشوب، عن المفضل، قال: قال لي أبو جعفر (الباقر):

(لمّا توجّه الحسين (ع) إلى العراق، دفع إلى أمّ سلمة زوج النبي (ص) الوصية والكتب وغير ذلك، وقال لها: إذا أتاك أكبر ولدي، فادفعي إليه ما دفعت إليك، فلمّا قتل الحسين (ع)، أتى علي بن الحسين أمّ سلمة، فدفعت إليه كل شيء أعطاها الحسين (ع))[١٦٤].

٥ـ وفي الكافي واعلام الورى وبصائر الدرجات وبحار الأنوار واللفظ

---

(١٦٢) بصائر الدرجات/ص ٤٣. نقلنا هذه الروايات عن مصادرها عن كتاب جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة/ج١.

(١٦٣) الكافي/(ج٢/ص ٧٩)، عن كتاب معالم المدرستين/(ج٢/ص ٣١٩).

(١٦٤) غيبة الشيخ الطوسي/ط تبريز/سنة ١٣٢٣هـ/والمناقب لابن شهر آشوب/(ج٤/ص ١٧٢)، والبحار/(ج٤٦/ص ١٨)، ج٣، وقد أخذنا اللفظ من الأخير عن معالم المدرستين/(ج٢/ص ٣٢٠).

للأوّل، عن عيسى بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه، قال:

(إلتفت علي بن الحسين إلى ولده، وهو في الموت، وهم مجتمعون عنده، ثم التفت إلى محمد بن علي ابنه، فقال: يامحمد، هذا الصندوق، فاذهب به إلى بيتك، ثم قال: أما إنّه ليس فيه دينار ولا درهم، ولكنّه كان مملوء علماً)[165].

٦ـ وفي بصائر الدرجات والبحار، عن عيسى بن عبدالله بن عمر، عن جعفر بن محمد (الصادق)، قال:

(لمّا حضر علي بن الحسين الموت، قبل ذلك أخرج السفط والصندوق عنده، فقال: يا محمد، إحمل هذا الصندوق، قال: فحمل بين أربع رجال. فلمّا توفي، جاء أخويه يدعون في الصندوق، فقالوا: أعطنا نصيبنا من الصندوق، فقال، والله ما لكم فيه شيء، ولو كان لكم فيه شيء ما دفعه إلي، وكان في الصندوق سلاح رسول الله(ص) وكتبه)[166].

٧ـ وعن زرارة، عن أبي عبدالله (الصادق) (ع) قال:

(ما مضى أبو جعفر حتى صارت الكتب إلي)[167].

٨ـ وعن عنبسة العابد، قال:

(كنّا عند الحسين ابن عم جعفر بن محمد، وجاءه محمد بن عمران، فسأله كتاب أرض، فقال: حتى أخذ ذلك من أبي عبدالله (الصادق) (ع) قال: قلت له وما شأن ذلك عند أبي عبدالله(ع)، قال: إنّها وقعت عند الحسن، ثم عند الحسين، ثم عند علي بن الحسين، ثم عند أبي جعفر عليه السلام، ثم

---

(١٦٥) معالم المدرستين/ (ج٢/ص ٨٢) عن أصول الكافي/(ج١/ص ٣٠٥/ح٢)، وإعلام الورى/ص ٢٦٠، وبصائر الدرجات/باب١/ص ٤٤.

(١٦٦) معالم المدرستين/ (ج٢/ص ٣٢١) عن أصول الكافي/(ج١/ص ٣٠٥/ح١)، والوافي/(ج٢/ص ٨٢)، وبصائر الدرجات/ص ١٦٥.

(١٦٧) معالم المدرستين/ (ج٢/ص ٣٢١) عن بصائر الدرجات/ص ١٥٨.

عند جعفر، فكتبناه من عنده)[١٦٨].

٩ـ وفي غيبة النعماني والبحار، عن حماد الصائغ قال: سمعت المفضل ابن عمر يسأل أبا عبدالله (الصادق) ـ إلى قول حماد ـ ثم طلع أبو الحسن موسى بن جعفر (الصادق) فقال له أبو عبدالله(ع): (يسرّك أن تنظر إلى صاحب كتاب علي، فقال المفضل: وأي شيء أعظم من ذلك. فقال: هو هذا صاحب كتاب علي)[١٦٩].

١٠ـ وفي الكافي وإرشاد الشيخ المفيد وغيبة الشيخ الطوسي والبحار، عن نعيم القابوسي، عن أبي الحسن موسى (بن جعفر) قال:

(ابني علي أكبر ولدي، وأبرّهم عندي، وأحبّهم إلي، وهو ينظر معي في الجفر، ولم ينظر فيه إلّا نبيّ أو وصي)[١٧٠].

١١ـ وفي رجال الكشّي والبحار، عن نصر بن قابوس، قال: إنّه كان في دار الامام الكاظم، فأراه ابنه الامام الرضا، وهو ينظر في الجفر، فقال: (هذا ابني علي والذي ينظر فيه الجفر)[١٧١]

٥ـ إسناد الشيعة إلى أهل البيت (ع):

وإذا تعيّن الأخذ بأحاديث أهل البيت عليهم السلام، وعلمنا أنّ حديثهم من حديث رسول الله (ص)، وعلمهم من ميراث رسول الله(ص)، ولا مساغ لأحد في الاجتهاد مع وجودهم، أو مع وجود أحاديث لهم في

---

(١٦٨) بصائر الدرجات/ص ١٦٥ـ١٦٦.

(١٦٩) غيبة النعماني/ص ١٧٧، والبحار /(ج٤٨/ص ٢٢).

(١٧٠) أصول الكافي/(ج١/ص ٣١١).

(١٧١) معالم المدرستين/ (ج٢/ص ٣٢٢) عن رجال الكشّي/ ص ٣٨٢.

الأصول والأحكام، أقول إذا تعيّن ذلك فلا يبقى لاخواننا من السنة غير سؤال واحد، وهو:

أنّ حديث أهل البيت عليهم السلام، لم يرو ـ في الغالب ـ إلاّ عن طرق الشيعة وأسانيدهم، وأهل السنة لا يعرفون هذه الطرق.

والجواب: إنّ علماء السنة لا يشترطون في صحّة الرواية غير الوثوق إلى صدق الراوي وحفظه، فإذا وثقوا بصدق الراوي وضبطه، وسلامة الطريق من حيث الأمانة والصدق، لم يتردّدوا في التمسّك بالرواية، وإن كان الراوي على غير عقيدة أهل السنّة ومذهبهم.

وقد ورد كثير من رجال الشيعة في أسانيد الصحاح الستة وطرقهم، وأخذ كبار المحدّثين من السنة من أمثال البخاري ومسلّم وأحمد والنسائي وابن ماجة وغيرهم عن مشايخ الشيعة ـ علماً بأنّهم من الشيعة ـ وإنّهم يختلفون معهم في العقيدة والمذهب. ومع ذلك، فلم يمنعهم ذلك من الأخذ برواياتهم، والاعتماد عليها.

وقد ذكر الامام شرف الدين رحمه الله مائة من رجال الشيعة في أسانيد السنة وطرقهم، على سبيل المثال والاستشهاد، لا الاستقصاء(١٧٢).

وجرى على هذه السيرة السّلف من كلا الفريقين السنّة والشيعة، فكان الشيعة يعتمدوهم في طرقهم ورواياتهم على الثقات من السنة والسنة يعتمدون لذلك على الثقات من الشيعة.

فهذا أبان بن تغلب الكوفي، إحتجّ به مسلم وأصحاب السنن الأربعة، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة، ووثّقه أحمد بن حنبل وابن معين

(١٧٢) المراجعات/للامام شرف الدين/ص ٥٢ـ١١٨، ونذكر النماذج التالية كشواهد من الشواهد من هذا الكتاب القيّم.

وأبو حاتم، وكان شيعياً معروفاً، يقول الذهبي في الميزان في ترجمته:

(أبان بن تغلب الكوفي شيعي جلد، لكنّه صدوق، فلنا صدقه، وعليه بدعته).

وإسماعيل بن زكريّا الأسدي الخلقاني، روى عنه البخاري ومسلم، وترجم له الذهبي فقال: (صدوق شيعي)، وعدّه ممن احتج به أصحاب الصّحاح الستة.

وحبيب بن أبي ثابت الكاهلي الكوفي التابعي عدّه من رجال الشيعة كل من ابن قتيبة في المعارف، والشهرستاني في الملل والنحل، واحتجَّ به في الصّحاح الستة جميعاً بلا تردد.

والحسن بن حي، واسم حي (صالح) كان من أعلام الشيعة، ذكره ابن سعد في الطّبقات (ج٦)، فقال:

(كان ثقة صحيح الحديث، كثيره. وكان متشيّعاً، واحتجّ به مسلم وأصحاب السنن).

وقد روي عن مسلم في الصحيح، عن كل من سماك بن حرب وإسماعيل السدي وعاصم الأحول، وهارون بن سعد.

وقد أخذ عنه عبيد الله بن موسى العبسي ويحيى بن آدم وحميد بن عبدالرحمن الرواسي وعلي بن الجعد وأحمد بن يونس وسائر أعلام طبقتهم، وذكر الذهبي في ترجمته من الميزان: (إنّ ابن معين وغيره وثّقوه)، وذكر الذهبي أنّ أبا حاتم قال إنّه ثقة حافظ متّقن، وإنّ أبا زرعة قال: (اجتمع فيه إتقان وفقه وعبادة وزهد، وإنّ النسائي وثقه، وإنّ أبا نعيم قال: (كتبت عن ثمان مائة محدّث، فما رأيت أفضل من الحسن بن صالح).

والحكم بن عتبة الكوفي نص على تشيعه ابن قتيبة وعدّه من رجال الشيعة في معارفه، إحتجَّ به البخاري ومسلم.

وخالد بن مخلد القطواني شيخ البخاري في صحيح ذكره ابن سعد في (ج٦) من طبقاته (٢٥) فقال: (وكان متشيعاً وفي التشيع مفرطاً)، وكتبوا عنه. وذكره أبو داود فقال: (صدوق لكنه متشيع).

إحتجّ به البخاري ومسلم في مواضع من صحيحيهما، وأصحاب السنن كلّهم يحتجـون بحديثه، وهم يعلمون بمذهبه، وغيرهم من رجال الشيعة كثيرون في طرق السنة واسنادهم ممّن احتجَّ بهم الشيخان البخاري ومسلم، واستند إليهم أرباب السنن، واعتبروهم من حفظة ميراث الرسالة.

ولو أنّ أهل السنة ألغوا روايات الشيعة وردّوها رأساً لذهبت جملة من الآثار النبوية، كما يعترف بذلك الذهبي في الميزان في ترجمة أبان بن تغلب[173].

وهـذا عبدالرزاق بن همّام بن نافع الحميري الصنعاني [illegible] إلى التشيّع[174] ومع ذلك فقد وثّقه الائمة كلّهم إلّا العباس بن عبدالعظيم، فتكلّم بكلام أفرط فيه ولم يوافقه عليه أحد[175] وقال عنه ابن عدي (رحلوا إليه ثقات المسلمين [illegible] في التشيع [illegible] به، وأمّا الصدق فأرجو [illegible] ومسلم[177].

وكلمات علماء الجرح والتعديل من أعلام أهل السنة تشهد على ذلك، فقد ورد توثيق أبان بن تغلب وهو شيعي معروف بالتشيّع كما ذكرنا على

(١٧٣) نقلنا ما تقدّم من كتاب المراجعات/للامام شرف الدين، ومن أراد المزيد فعليه بمراجعته.

(١٧٤) فتح الباري [illegible] ٤٢٨

(١٧٥) ـ (١٧٦) ـ (١٧٧) [illegible]

لسان طائفة من علماء الجرح والتعديل والرواة والمحدّثين كالحاكم في المستدرك وابن عجلان العقيلي رغم تصريحه بأنّه كان مغالياً في التشيع وابن سعد وابن حبّان الأزدي[178].

هؤلاء كلّهم صرّحوا بوثاقته مع علمهم بأنّه شيعي وتصريحهم بذلك في بعض الكلمات.

ويقول ابن حجر العسقلاني في مقدمة (فتح الباري): (واعلم أنّه قد وقع من جماعة الطّعن في جماعة بسبب اختلافهم في العقائد فينبغي التنبيه لذلك وعدم الاعتداد به إلّا بحـق، وكذا عاب جماعة من الورعين جماعة دخلوا في أمر الدنيا فضعّفوهم لذلك، ولا أثر لذلك التضعيف من الصدق والضبط)[179].

ويحتج الخطيب البغدادي على قبول الثّقات من غير أهل السنة بتدوين أهل العلم من المحدّثين قديماً وحديثاً لرواياتهم والاحتجاج بأخبارهم، ويقول الخطيب عن هذه السيرة المعروفة لدى المحدّثين بأنّه أكبر الحجج وبه يقوى الظن في مقارنة الصواب يقول الخطيب: (فاحتجّوا برواية عبيد الله بن موسى وخالد بن مخلد وعبدالرزاق ابن همام، وكانوا يذهبون إلى التشيّع في خلق كثير لم يتّسع ذكرهم، دوّن أهل العلم قديماً وحديثاً رواياتهم، واحتجوا بأخبارهم، فصار ذلك كالاجماع، وهو أكبر الحجج في هذا الباب)[180].

وفي مقابل ذلك أيضاً ورد ذكر ثقات من السنة في أحاديث الشيعة، وتمسّك بها علماء الشيعة من غير تأمّل، كإسماعيل بن أبي زياد السكوني وحفص

---

(١٧٨) تهذيب التهذيب/(ج١/ص ٩٤).

(١٧٩) فتح الباري/المقدمة/ص ٣٨٢.

(١٨٠) كتاب الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي/ص ٢٠١.

ابن غياث وغياث بن كلوب ونوح بن دراج وغيرهم من أعلام العامة ورواتهم. كما يقول العلّامة في الخلاصة [181].

فلا يشترط في صحّة الرواية إذن أكثر من الوثوق بالراوي، وصدقه، وأمانته، وضبطه، فإذا تأكّدوا من ذلك، فإنّ أصحاب السنن والصحاح والأصول لم يترددوا في الأخذ بروايته، وروايتها والعمل بها.

والشيعة لا يكونون أقل حرصاً من اخوانهم السنة في الراوي وصدقه وأمانته وضبطه، وهذه كتبهم في الرجال والجرح والتعديل، تشهد في هذه الناحية، إلى حدود القسوة، ولا تسلم الرواية عندهم ما لم يتأكّدوا من صدق الراوي وضبطه وأمانته وصدقه وتديّنه.

فلا مبرر إذن للتردد في التمسّك بروايات أهل البيت عليهم السلام في الحلال والحرام، وفي الأصول والعقائد بحجّة أنّ روايات أهل البيت وردت في الغالب عن طرق شيعية لا يعرفها أهل السنة.

ولا نشك نحن أن في أسانيد وطرق وروايات أهل البيت طرقاً ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها.

غير أنّ الأساس السليم في مثل هذا الموقف أن ينتقي الفقيه السني منها ما تجتمع فيه شروط الرواية الصحيحية من حيث السند والمتن، ويترك غيره، كما يعمل علماء الشيعة، ما دام أن الرواية عن الشيعة ليس بأمر محظور، وما دام أنّ كلمات أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم لا تزيد أن تكون روايات عن رسول الله(ص)، فلا يبق إلّا التحرّي في أسانيد هذه الروايات وطرقها، والتأكّد منها، وانتقاء الصحيح منها، كما يفعل اخواننا السنة بالأحاديث النبوية الواردة عن طرقهم، وكما يفعل الشيعة بالروايات الواردة

---

(181) راجع معجم رجال الحديث / (ج٣/ص ١٠٦)/ ط بيروت).

عن رسول الله وأهل بيته عن طرقهم بالذات.

والحمد لله رب العالمين





آية التطهير
في كتب الصحاح والمسانيد والتفاسير

وبعد فهذه إضمامة من الروايات المعتبرة من الصحاح والمسانيد والتفاسير في انحصار (أهل البيت) في هذه الآية الكريمة بالخمسة الطاهرة (ع) وهي نموذج من الروايات الواردة في هذا الشأن.

وهذه الاضمامة من تأليف سماحة العلّامة المحقق البحّاثة السيّد مرتضى العسكري حفظه اللّه مؤلف كتاب عبد اللّه ابن سبأ ومائة وخمسون صحابي مختلق، آثرنا أن نضعها في خاتمة هذا البحث لتكتمل بها مهمة هذه الرسالة ونسأل اللّه تعالى أن ينفع بها المؤمنين.

آية التطهير
في كتب الصحاح والمسانيد والتفاسير

بداية القصة
عندما رأى الرسول الرحمة هابطة

روى الحاكم في كتابه (المستدرك على الصحيحين في الحديث) عن عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب أنّه قال: (لما نظر رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى الرحمة هابطة قال: «أدعوا لي، ادعوا لي»، فقالت صفيّة: من يارسول الله؟ قال: «أهل بيتي عليّاً وفاطمة والحسن والحسين»، فجيء بهم فألقى عليهم النبيّ صلّى الله عليه وآله كساءه ثمّ رفع يديه ثمّ قال: «اللّهم هؤلاء آلي فصلّ على محمّد وآل محمّد» وأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾** [أ].

(أ) سورة الاحزاب، الآية ٣٣.

قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الاسناد)[1].

نوع الكساء

أ ـ في حديث أم المؤمنين عائشة:

روى مسلم في صحيحه والحاكم في مستدركه والبيهقي في سننه الكبرى وكلّ من الطبري وابن كثير والسيوطي في تفسير الآية بتفاسيرهم، واللفظ للأوّل عن عائشة قالت:

(خرج رسول اللّه غداة وعليه مرط مُرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه. ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله. ثم قال:

﴿إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾)[2:ب].

ب ـ في حديث أم سلمة:

روى كل من الطبري والقرطبي في تفسير الآية بتفسيره عن أمّ سلمة

← وعبداللّه بن جعفر ذي الجناحين ابن أبي طالب وأمه أسماء بنت عميس الخثعمية ولد في الحبشة وأدرك النبي، توفي بعد الثمانين من الهجرة. ترجمته بأسد الغابة (۳/۳۳).

والحاكم هو امام المحدثين أبو عبداللّه محمد بن عبداللّه النيسابوري (ت: ٤٠٥) والحاكم أعلى رتبة للمحدثين عند علماء السنة فأول رتبة عندهم: المحدث ثم الحافظ ثم الحجة ثم الحاكم.

راجع المختصر في علم رجال الاثر ص٧١.

(ب) عائشة بنت أول الخلفاء أبي بكر بنى بها الرسول بعد ثمانية عشر شهراً من هجرته الى المدينة وتوفيت في السابعة أو الثامنة أو التاسعة والخمسين من الهجرة وصلّى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع ـ راجع أحاديث عائشة.

قالت:

(لـمّا نزلت هذه الآية ﴿إنّما يريد الله...﴾ دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجلّل عليهم كساءً خيبرياً...)[3][ج].

وفي حديث آخر عنها قالت:

(وغطّى عليهم عباءة...)[4].

رواه السيوطي في تفسيره وأشار إليه ابن كثير كذلك.

كيفية جلوس أهل البيت تحت الكساء

أ ـ في حديث عمر بن أبي سلمة:

روى كلّ من الطبري وابن كثير في تفسيريهما والترمذي في صحيحه والطحاوي في مشكل الآثار، واللفظ للأوّل عن عمر بن أبي سلمة، قال:

(نزلت هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه وآله في بيت أمّ سلمة ﴿إنّما يريد الله ليذهب...﴾ فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة فأجلسهم بين يديه، ودعا علياً فأجلسه خلفه، فتجلّل هو وهم بالكساءِ ثمّ قال:

«هؤلاءِ أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»[5][د].

وفي رواية ابن عساكر بعدة: (قالت أمّ سلمة: اجعلني معهم، قال رسول

(ج) أم سلمة هند ابنة أبي أمية القرشي المخزومي تزوجها رسول الله (ص) بعد وفاة زوجها الاول ابو سلمة بن عبدالاسد على أثر جراح اصيب به في أحد، توفيت بعد قتل الحسين سنة ستين.

ترجمتها بأسد الغابة وتقريب التهذيب.

(د) عمر بن أبي سلمة القرشي المخزومي ربيب رسول الله (ص) أمه ام سلمة ولد بأرض الحبشة شهد صفين مع علي واستعمله على البحرين وفارس وتوفي بالمدينة سنة ثلاث وثمانين من الهجرة: ترجمته بأسد الغابة (٤/٧٩).

الله (ص): «انت بمكانك وانت على خير».

ب ـ في حديث واثلة بن الأسقع:[٦] [هـ] وأمّ سلمة[٧]:

(أجلس عليّاً وفاطمة بين يديه والحسن والحسين كلّ واحد منهما على فخذه أو في حجره).

كما رواه عن واثلة الحاكم في مستدركه وقال: (صحيح على شرط الشيخين). والهيثميّ في مجمع الزوائد).

مكان اجتماع أهل البيت

أ ـ في حديث أبي سعيد الخدري:

في تفسير الآية بالدرّ المنثور للسيوطي عن أبي سعيد قال:

كان يوم أمّ سلمة أمّ المؤمنين فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿إنّما يريد الله...﴾ قال: فدعا رسول الله صلّى الله عليه وآله بحسن وحسين وفاطمة وعليّ فضمّهم ونشر عليهم الثوب والحجاب على أمّ سلمة مضروب ثمّ قال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي اللّهم أذهب عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيراً» قالت أمّ سلمة (رض): فأنا معهم يانبي الله؟ قال: «انت على مكانك وأنت على خير»[٨] [و].

ب ـ في حديث أمّ سلمة:

بتفسير الآية عند ابن كثير والسيوطي وسنن البيهقي وتاريخ بغداد

(هـ) واثلة بن الاسقع بن كعب الليثي أسلم قبيل غزوة تبوك قيل: خدم النبي (ص) ثلاث سنين وتوفي بعد الثمانين من الهجرة بدمشق أو بالبيت المقدس ترجمته باسد الغابة (٥/٧٧).

(و) يظهر من طرق أخرى للحديث ان أبا سعيد قد روى هذا الحديث عن أم سلمة نفسها وابو سعيد سعد بن مالك الانصاري الخزرجي الخدري شهد الخندق وما بعدها، توفي بالمدينة بعد الستين أو بعد السبعين من الهجرة، ترجمته باسد الغابة (٢/٢٨٩).

للخطيب ومشكل الآثار للطحاوي واللفظ للأول عن أمّ سلمة قالت:

في بيتي نزلت ﴿إنّما يريد اللّه...﴾ وفي البيت فاطمة وعليّ والحسن والحسين فجلّلهم رسول اللّه بكساء كان عليه ثمّ قال: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»[٩].

وفي رواية الحاكم بمستدرك الصحيحين ـ أيضا ـ قالت: (رض) (في بيتي نزلت).

وفي باب فضل فاطمة من صحيح الترمذي[ز] والرياض النضرة وتهذيب التهذيب: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»[١٠] وفي مسند أحمد: (قالت أمّ سلمة: فأدخلت رأسي في البيت فقلت وأنا معكم يارسول اللّه؟ قال: «إنّك إلى خير، إنّك إلى خير»).

وفي رواية اخرى: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: «إنّك على خير»[١١].

وفي رواية الحاكم بمستدركه: (قالت أمّ سلمة:

يارسول اللّه ما أنا من أهل البيت؟ قال: «إنّك إلى خير وهؤلاء أهل بيتي، اللّهم أهل بيتي أحقّ»)[١٢].

من كان في البيت عند نزول الآية.

في تفسير السيوطي ومشكل الآثار واللفظ للأوّل:

(قالت أمّ سلمة: نزلت هذه الآية في بيتي ﴿إنّما يريد اللّه.....﴾ وفي البيت

(ز) قال الترمذي وفي الباب عن عمر بن أبي سلمة وأنس بن مالك وأبي الحمراء ومعقل بن يسار وعائشة.

سبعة: جبريل وميكال وعليّ وفاطمة والحسن والحسين (رض) وأنا على باب البيت، قلت: يارسول الله! ألست من أهل البيت قال: «إنّك إلى خير، إنّك إلى خير، إنّك من ازواج النبيّ»)[١٣].

وفي رواية ابن عساكر بعده: وماقال انك من أهل البيت.

كيف كان أهل البيت عند نزول الآية.

في تفسير الطبري عن أبي سعيد الخدري عن امّ سلمة:

انّ هذه الآية نزلت في بيتها ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾ قالت: وأنا جالسة على باب البيت[١٤].

وفي تفسير الطبري ـ أيضا ـ عن امّ سلمة، قالت:

فاجتمعوا حول النبيّ صلّى الله عليه وآله على بساط فجلّلهم النبيّ بكساء كان عليه ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط. قالت: فقلت: يارسول الله! وأنا: فوالله ماأنعم، وقال: «إنّك إلى خير»[١٥].

شرح ألفاظ الآية:

قال الراغب بمادّة (رود) من كتابه (مفردات القرآن): اذا قيل «أراد الله» فمعناه حكم أنّه كذا او ليس كذا، أراد بكم سوءاً أو اراد بكم رحمة.

وقال في مادة «الرجس»: الرجس الشيء القذر.

وقال الرجس يكون على أربعة أوجه امّا من حيث الطبع وأمّا من جهة العقل وأمّا من جهة الشرع وأمّا من كل ذلك كالميتة والميسر والشرك ـ انتهى ملخّصاً.

وفي تفسير الثعالبي (ج٣ / ٢٢٨) الرّجس: اسم يقع على الأثم وعلى

العذاب وعلى النجاسات والنقائص فأذهب اللّه ذلك عن أهل البيت.

وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إنّما الخمر والميسر والازلام رجس من عمل الشيطان﴾ المائدة ٩٠.

وفي قوله: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ الحجّ ٣٠.

وقوله: ﴿إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فانّه رجس﴾ الانعام ١٤٥.

وقوله: ﴿وكذلك يجعل الرجس على الّذين لايؤمنون﴾ الانعام ١٢٥.

وقوله: ﴿فأعرضوا عنهم فانّهم رجس﴾ (للمنافقين) التوبة الآية ٩٥.

وقوله لقوم نوح: ﴿وقال قد وقع عليكم من ربّكم رجس وغضب﴾ الاعراف ٧١.

وشأن التطهير في هذه الآية كشأنه في قوله تعالى: ﴿واذ قالت الملائكة يامريم انّ اللّه اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ آل عمران ٤٢.

و(الكساء) هنا في الحديث لباس كالعباءة يُلبس فوق الثياب.

تفسير الآية في المأثور:

في تفسير السيوطي عن ابن عباس، قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: «انّ اللّه قسّم الخلق قسمين فجعلني في خيرها قسماً إلى قوله: ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى: ﴿إنّما يريد اللّه...﴾ فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الذنوب»[١٦] (ح).

(ح) عبداللّه بن عم النبي عباس ولد قبل الهجرة بثلاث وتوفي سنة ثمان وستين ←

وفي حديث الضّحاك بن مزاحم بتفسير السيوطي:

انّ النبيّ كان يقول: «نحن أهل بيت طهّرهم الله . من شجرة النبوّة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وبيت الرحمة ومعدن العلم»[17] (ط).

وفي تفسير الطبري وذخائر العقبى للمحبّ الطبري، واللفظ للأوّل عن أبي سعيد الخدري قال:

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: «نزلت هذه الآية في خمسة في وفي عليّ وحسن وحسين وفاطمة» ﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[18].

وفي مشكل الآثار عن أمّ سلمة، قالت:

نزلت هذه الآية في رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وعليّ وحسن وحسين عليهم السلام ﴿إنّما يريد اللّه...﴾[19].

وسبق في الروايات الماضية شرح الآية وبيانها عن رسول اللّه قولاً وعملاً.

وفي صحيح مسلم: (عن الصحابي زيد بن أرقم عندما سئل: (من هم أهل بيته؟ نساؤه؟).

قال: لا. وأيم اللّه أنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثمّ يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الّذين حرّموا الصدقة بعده)[20] (ي).

بالطائف ترجمته باسد الغابة.

(ط) أبو القاسم أو أبو محمد الضحاك بن مزاحم الهلالي قال ابن حجر: صدوق كثير الارسال من الطبقة الخامسة مات بعد المائة. ترجمته بتقريب التهذيب (١/٣٧٣).

(ي) زيد بن أرقم الانصاري الخزرجي استصغره الرسول في أحد وشهد ما بعدها ومع علي صفين وتوفي بالكوفة بعد قتل الحسين (ع) اسد الغابة (ج٢/١٩٩).

وفي مجمع الزوائد للهيثمي عن أبي سعيد الخدري:

(أهل البيت الّذين اذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً فعدّهم في يده فقال: خمسة رسول الله صلّى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام)[٢١].

وروى الطبري في تفسيره عن قتادة في قوله: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ قال: هم أهل بيت طهرهم الله من السوء واختصهم برحمته[٢٢] [ك].

وقال الطبري - أيضاً - في تفسير الآية:

﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ يقول: إنّما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء ياأهل بيت محمّد ويطهّركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله[٢٣].

مافعله الرسول (ص) بعد نزول الآية:

في مجمع الزوائد عن أبي برزة قال:

صلّيت مع رسول الله سبعة عشر شهراً فاذا خرج من بيته أتى باب فاطمة (ع) فقال: الصلاة عليكم ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[٢٤] [ل].

وفي تفسير السيوطي عن ابن عبّاس قال:

(ك) قتادة: أربعة سدوسي ورهاوي وقيسي وأنصاري وكلهم ثقة تراجمهم في تقريب التهذيب (ج٢/١٢٣).

(ل) لعل سبعة عشر شهراً من غلط النساخ والصواب سبعة أشهر.

وأبو برزة الاسلمي ترجموه في عداد الصحابة مات سنة ستين أو أربع وستين بالكوفة ترجمته في اسد الغابة (١٤٦/٥).

شهدت رسول الله صلّى الله عليه واله وسلم تسعة أشهر يأتي كلّ يوم باب عليّ بن أبي طالب (رض) عند وقت كل صلاة فيقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت» ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾ كلّ يوم خمس مرات[٢٥].

وفي صحيح الترمذي ومسند أحمد ومسند الطيالسي ومستدرك الصحيحين واسد الغابة وتفاسير الطبري وابن كثير والسيوطي واللفظ للأوّل عن أنس بن مالك:

انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يمرّ بباب فاطمة (ع) ستة أشهر كلّما خرج إلى صلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت! ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾[٢٦] [م].

وفي الاستيعاب واسد الغابة ومجمع الزوائد ومشكل الآثار وتفاسير الطبري وابن كثير والسيوطي واللفظ للأخير عن أبي الحمراء قال: [ن]

حفظت من رسول الله ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة إلاّ أتى باب عليّ (رض) فوضع يده على جنبتي الباب ثمّ قال: «الصلاة الصلاة، إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً».

وفي لفظ رواية ستة أشهر وفي أخرى سبعة أشهر وفي ثالثة ثمانية أشهر وفي رابعة تسعة أشهر[٢٧].

(م) أنس بن مالك الانصاري الخزرجي روى هو أنه خدم النبي عشر سنوات توفي بالبصرة بعد التسعين.

ترجمته باسد الغابة (ج١/١٢٧).

(ن) أبي الحمراء: مولى رسول الله (ص) قيل اسمه هلال بن الحارث ويقال هلال ابن ظفر اسد الغابة (٥/١٧٤) وتهذيب التهذيب (١٢/٧٨).

وفي مجمع الزوائد وتفسير السيوطي عن أبي سعيد الخدري مع اختلاف في لفظه وفيه: جاء النبيّ أربعين صباحا إلى باب دار فاطمة عليها السلام يقول:

«السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته الصلاة رحمكم الله. إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا. انا حرب لمن حاربتم. انا سلم لمن سالمتم»[٢٨].

من احتج بالآية الكريمة في اثبات فضائل أهل البيت:

أ ـ الحسن بن علـيّ عليه السلام.

روى الحاكم في باب فضائل الحسن بن علي من مستدرك الصحيحين والهيثمي في باب فضائل أهل البيت: أنّ الحسن بن علـيّ خطب الناس حين قتل علـيّ وقال في خطبته:

«ايّها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علـيّ وأنا ابن النبيّ وأنا ابن الوصيّ وانا ابن البشير وانا ابن النذير وانا ابن الداعي إلى الله باذنه وانا ابن السراج المنير وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل الينا ويصعد من عندنا وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» الخطبة[٢٩].

وفي مجمع الزوائد وتفسير ابن كثير واللفظ للأول:

انّ الحسن بن علـيّ حين قتل علي استخلف فبينا هو يُصلّي بالناس اذ وثب إليه رجل فطعنه بخنجر في وركه فتمرض منها أشهراً ثمّ قام فخطب على المنبر فقال: ياأهل العراق اتّقوا الله فينا فانّا أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الّذي قال الله عزّوجلّ: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ فمازال يومئذ يتكلّم حتى ماترى في المسجد إلاّ

باكيا.

قال رواه الطبراني ورجاله ثقات[30].

ب ـ أمّ سلمة.

في مشكل الآثار للطحاوي عن عمرة الهمدانية قالت:

أتيت أمّ سلمة فسلّمت عليها فقالت: من أنت؟

فقلت: عمرة الهمدانية.

فقالت عمرة: ياأمّ المؤمنين أخبريني عن هذا الرجل الّذي قتل بين أظهرنا فمحب ومبغض ـ تريد علي بن أبي طالب ـ.

قالت أمّ سلمة: أتحبّينه أم تبغضينه؟

قالت: ماأحبه ولاأبغضه.... [س].

فأنزل اللّه هذه الآية: ﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ وما في البيت الاجبرئيل ورسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

فقلت: يارسول اللّه أنا من أهل البيت.؟

فقال: انّ لك عند اللّه خيراً. فوددت أنّه قال: نعم، فكان أحبّ إليّ ممّا تطلع الشمس وتغرب[31].

ج ـ سعد بن أبي وقاص.

في خصائص النسائي، عن عامر [ع] بن سعد بن أبي وقاص قال:

أمر معاوية سعدا فقال:

(س) بياض في الاصل.

(ع) عامر بن سعد بن أبي وقاص. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. قال ابن حجر: ثقة من الثالثة، مات سنة أربع ومائة.

(تقريب التهذيب ج١/٣٨٧).

مايمنعك أن تسب، أبا تراب؟

فقال: ماذكرت ثلاثا قالهنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم فلن أسبّه لئن يكون لي واحدة أحبّ إلي من حمر النعم. سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله يقول له وخلفه في بعض مغازيه. فقال له عليّ: يارسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله أتخلّفني مع النساء والصبيان؟

فقال رسول اللّه: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لانبوة بعدي. وسمعته يقول يوم خيبر: لاعطين الراية غدا رجلا يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله فتطاولنا اليها فقال: ادعوا لي عليّاً فأُتي به أرمد فبصق في عينيه ودفع الراية إليه ولـمّا نزلت:

﴿إنّما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ دعا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللّهم هؤلاءِ أهل بيتي»[٣٢].

وفي تفسير الآية عند ابن جرير وابن كثير ومستدرك الحاكم ومشكل الآثار للطحاوي واللفظ للاول:

قال سعد: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: حين نزل عليه الوحي فأخذ عليّاً وابنيه وفاطمة وأدخلهم تحت ثوبه ثمّ قال: «هؤلاء أهلي وأهل بيتي»[٣٣].

د ـ ابن عبّاس.

أ ـ في تاريخي الطبري وابن الأثير واللفظ للاوّل:

لـمّا قال عمر في كلامه لابن عباس:

هيهات ابت واللّه قلوبكم يابني هاشم إلاّ حسداً مايحول وضغنا وغشّا مايزول.

قال له ابن عبّاس:

مهلا ياأمير المؤمنين! لاتصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بالحسد والغش فانّ قلب رسول الله من قلوب بني هاشم[32].

ب ـ في مسند امام الحنابلة أحمد، وخصائص النسائي، والرياض النضره للمحبّ الطبري ومجمع الزوائد للهيثمي[34] واللفظ للأول:

عن عمرو بن ميمون[ف].

قال: انّي لجالس إلى ابن عبّاس اذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يابن عبّاس: إمّا أن تقوم معنا وإمّا أن يخلونا هؤلاء قال: بل أقوم معكم قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى قال:

فابتدؤا فتحدّثوا فلاندري ماقالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه، ويقول: أف وتف وقعوا في رجل له عشر ـ إلى قوله ـ وأخذ رسول الله ثوبه فوضعه على علـيّ وفاطمة وحسن وحسين وقال: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾.

هـ ـ واثلة بن الاسقع.

روى الطبري في تفسير الآية وابن حنبل في مسنده والحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط الشيخين والبيهقي في سننه والطّحاوي في مشكل الآثار والهيثمي في مجمع الزوائد واللفظ للأوّل:

عن أبي عـمّار[ص] قال: انّي لجالس عند واثلة بن الاسقع اذ ذكروا عليّاً فشتموه فلـمّا قاموا قال: اجلس حتّى اخبرك عن هذا الذي شتموا، اني عند رسول الله صلّى الله عليه وآله اذ جاءه علـيّ وفاطمة وحسن وحسين

(ف) عمرو بن ميمون الاودي، تابعي، ثقة، أخرج له أصحاب الصحاح. مات سنة أربع وسبعين بالكوفة. (تقريب التهذيب ٢/٨٠).

(ص) أبـو عمار، شداد بن عبدالله القرشي الدمشقي، ثقة، من الطبقة الرابعة، أخرج حديثه أصحاب الصحاح ترجمته بتقريب التهذيب (ج١/٣٤٧).

فألقى عليهم كساء له ثمّ قال: «اللّهم هؤلاء أهل بيتي اللّهم أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»[٣٥].

ورواه ابن عساكر في تاريخه بتفصيل اوفى.

في اسد الغابة عن شدّاد بن عبدالله قال سمعت واثلة بن الاسقع وقد جيء برأس الحسين فلعنه رجل من أهل الشام ولعن أباه. فقام واثلة وقال: والله لاأزال أحبّ عليّاً والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام بعد أن سمعت رسول الله يقول فيهم:

﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾ .... الحديث[٣٦].

وعن أمّ سلمة أيضاً:

في مسند أحمد وتفسير الطبري، ومشكل الآثار واللفظ للأوّل:ـ

عن شهر بن حوشب[ش] قال سمعت أمّ سلمة زوج النبيّ صلّى الله عليه وآله حين جاء نعي الحسين بن علي فلعنت أهل العراق، فقالت: قتلوه قتلهم الله. غروه وذلّوه لعنهم الله فاني رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله ـ إلى قولها ـ فاجتبذ كساء خيبرياً فلفّه النبيّ صلّى الله عليه وآله عليهم جميعاً وقال:

«اللّهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا»[٣٧].

و ـ علي بن الحسين السجّاد.

روى كلّ من الطبري وابن كثير والسيوطي في تفسير الآية:

(ق) أوردنا موجز الحديث والحديث بطوله في مسند أم سلمة من مسند أحمد.

وشهر بن حوشب الاشعري الشامي صدوق، من الطبقة الثالثة. أخرج حديثه أصحاب الصحاح، مات سنة ١١٢هـ ترجمته بتقريب التهذيب (١/٣٥٥).

انّ علي بن الحسين قال لرجل من أهل الشام: أما قرأت في «الاحزاب»:

﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾.

قال: ولأنتم هم؟!

قال: نعم[٣٨].

وتمام الخبر كما في مقتل الخوارزمي:-

أنّه لما حمل السّجاد مع سائر سبايا أهل البيت إلى الشام بعد مقتل سبط رسول الله الحسين، وأوقفوا على مدرج جامع دمشق في محلّ عرض السبايا دنا منه شيخ.

وقال: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح العباد من رجالكم وأمكن أمير المؤمنين منكم.

فقال له علي بن الحسين: ياشيخ هل قرأت القرآن.

قال: نعم.

قال: أقرأت هذه الآية: ﴿قل لاأسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى﴾[ر].

قال الشيخ: قرأتها.

قال: وقرأت قوله تعالى: ﴿وآت ذا القربى حقّه﴾[ش] وقوله تعالى:

﴿واعلموا أنّ ماغنمتم من شيء فانّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى﴾[ت].

قال الشيخ: نعم.

فقال: نحن والله القربى في هذه الآيات، وهل قرأت قوله تعالى: ﴿إنّما

(ر) سورة الشورى الآية ٢٣.

(ش) «الاسراء» ٢٦.

(ت) «الانفال» ٤١.

يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾.

قال:نعم.

قال: نحن أهل البيت الذي خُصصنا بآية التطهير.

قال الشيخ: بالله عليك أنتم هم؟!

قال: وحقّ جدّنا رسول الله إنّا لنحن هم؟! من غير شكّ.

فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ماتكلّم به ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال:

اللّهم انّي أتوب اليك من بغض هؤلاء وانّي أبرأ اليك من عدوّ محمّد وآل محمّد من الجنّ والانس[٣٩].

نكتفي بهذا المقدار ماأردنا ايراده من روايات حديث الكساء [ث] ففيه كفاية لمن أراد أن يتمسّك بالقرآن ويأخذ تفسيره عن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

﴿ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ [خ].

خلاصة الروايات السابقة

تتلخص قصّة حديث الكساء كما في الروايات السابقة:

انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كان في بيت أمّ سلمة وفي يومها لـمّا رأى الرحمة هابطة فقال:

(ث) وقد تركنا ذكر أحاديث أخرى في الباب مثل ماورد بترجمة عطية من أسد الغابة (٤١٣/٣) والاصابة (٤٨٩/٣) وتاريخ بغداد (٢٧٨/١٠). ورواية حكيم بن سعيد في تفسير الطبري (٥/٢٢). وروايات أخرى في مسند أحمد (٣٠٤/٦) وأسد الغابة (١٢/٢ و ٢٩/٤) ومجمع الزوائد (٢٠٦/٩ و ٢٠٧) وذخائر العقبى للمحب الطبري ص:٢١. والاستيعاب ٤٦٠/٢ وابن عساكر ١٣/١/٥ ـ ١٦.

(خ) سورة ق الآية ٣٧.

«ادعوا لي. ادعوا لي» فقالوا: من يارسول الله؟

قال: «أهل بيتي عليّاً وفاطمه والحسن والحسين».

فاجتمعوا حول النبيّ على بساط فجللهم ونفسه بكساء خيبري كان من مرط مُرحَل من شعر أسود ثمّ قال:

«اللّهم هؤلاء آلي فصلّ على محمّد وآل محمّد. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا﴾.

نزلت هذه الآية عندما اجتمعوا حول النبيّ على البساط، وقال:

«اللّهم هؤلاء أهل بيتي اللّهم فأذهب عنهم الرجس أهل البيت وطهّرهم تطهيراً».

وكان الحجاب مضروباً على أمّ سلمة.

قالت أمّ سلمة: وأنا جالسة على باب البيت وفي البيت سبعة: جبريل وميكال وعليّ وفاطمة والحسن والحسين فأدخلت رأسي في البيت فقلت: يارسول الله ألست من أهل البيت؟ قالت: فوالله ماأنعم، وقال: «إنّك إلى خير. إنّك إلى خير إنّك من أزواج النبيّ».

وفي رواية قالت: ما أنا من أهل البيت؟

قال «إنّك إلى خير وهؤلاء أهل بيتي، اللّهم أهل بيتي أحقّ».

قد ميّز النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم في هذه القصّة أهل البيت عن غيرهم وشرح الآية بما قال وما فعل مثل قوله: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الذنوب».

وأعلن ذلك في مسجده في ماكان يفعل على ملأ من المسلمين حيث كان يأتي إلى باب بيت عليّ وفاطمة عند كلّ صلاة ويقول: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً».

وفي رواية ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة إلّا أتى باب عليٍّ فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال....) الحديث.

أحصى بعض الصحابة مجيء الرسول صلوات الله عليه إلى باب عليّ وفاطمة ستة أشهر وآخر سبعة أشهر وآخر ثمانية أشهر وآخر تسعة أشهر وآخر أقلّ وآخر أكثر من ذلك. كلّ ذلك ليبيّن للامة من بعده قولا وعملا من هم أهل البيت الّذين نزلت فيهم الآية وما معنى الآية. عملا منه صلوات الله عليه وآله بقوله تعالى:

﴿وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزّل اليهم ولعلّهم يتفكّرون﴾ (١)

واشتهر ذلك حتّى احتج بالآية بعد رسول الله أهل بيته وأصحابه مثل الامام الحسن عليه السلام أحد الخمسة أصحاب الكساء في خطبته بعد وفاة أبيه حيث قال: «وأنا من أهل البيت الّذي أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا».

وفي خطبته بعدما طعن قال: «ونحن أهل البيت الّذي قال الله عزّ وجلّ:

﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾».

وتلتها أمّ سلمة على عمرة الهمدانية لـمّا سألتها عن الامام عليّ بعد مقتله.

واحتج بها سعد بن أبي وقّاص على معاوية لـمّا دعاه ليسب أبا تراب.

وذكرها ابن عبّاس ضمن فضائل الامام العشرة بعد انصراف الرهط الّذين اجتمعوا به فوقعوا في الامام.

واستشهد بها الصحابي واثلة على الّذي حضر شتم الامام وسمعه.

وحدّثت بها أمّ سلمة لـمّا بلغها نعي الحسين ولعنت أهل العراق.

---

(١) سورة النحل الآية ٤٤.

وكذلك فعل واثلة أيضاً.

وتلاها عليّ بن الحسين على الرجل الشامي الّذي أتى على يزيد ووقع فيهم صلوات الله عليهم اجمعين واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مصادر البحث

(١) مستدرك الحاكم على الصحيحين (ج٣: ١٤٧ _ ١٤٨).

(٢) رواة حديث أم المؤمنين عائشة:

رواه مسلم في صحيحه باب فضائل أهل بيت النبي (ص) (ج٧: ١٣٠)، والحاكم في مستدركه على الصحيحين (ج٣: ١٤٧)، والبيهقي في السنن الكبرى باب بيان أهل بيته والذين هم آله (ج٢: ١٤٩)، وفي تفسير الآية بتفسير الطبري جامع البيان (ج٢٢:٥)، وتفسير ابن كثير (ج٣: ٤٨٥)، وجامع الأصول ج١٠/ ١٠١ _ ١٠٢، وتيسير الوصول ٣/ ٢٩٧، وتفسير السيوطي: الدر المنثور (ج٥: ١٩٨ و ١٩٩).

(٣) رواه أبو سعيد عن أم سلمة كما في تفسير الآية في تفسير الطبري (ج٢٢: ٦).

(٤) رواه عنها شهر بن حوشب كما في تفسير الطبري (ج٢٢: ٦)، وأشار اليه ابن كثير في (٣: ٤٨٥).

(٥) بصحيح الترمذي (١٢: ٨٥) بتفسير الآية وتفسير الطبري (ج٢٢:٧)، وابن كثير (ج٣: ٤٨٥)، ومشكل الآثار (١: ٣٣٥)، وجامع الأصول ١٠/ ١٠١، وابن عساكر ١٦/١/٥ب.

(٦) مستدرك الصحيحين (٢: ٤١٦) و (٣: ١٤٧) وقال صحيح على شرط الشيخين، ومجمع الزوائد (٩: ١٦٧)، ومشكل الآثار للطحاوي (١: ٣٣٥)، وابن عساكر ١٦/٦/٥ب.

(٧) تفسير الطبري (٢٢: ٦)، وابن كثير (٣: ٤٨٣)، والسيوطي في الدر المنثور

(٥: ١٩٨)، سنن البيهقي (٢: ١٥٢)، ومسند أحمد (٤: ١٧٠).

(٨) بتفسير الآية في الدر المنثور (٥: ١٩٨).

(٩) بسنن البيهقي (٢: ١٥٠)، وبتفسير الآية عند ابن كثير (٣: ٤٨٣)، والسيوطي (٥: ١٩٨)، وفي لفظ الحاكم بتفسير الآية (٢: ٤١٦) - أيضاً - عن أم سلمة: (في بيتي نزلت.)، وتاريخ بغداد (٩: ١٢٦)، ومشكل الآثار (١: ٣٣٤)، وجامع الأصول ١٠/ ١٠٠، وتفسير الثعالبي ٣/ ٢٢٨. وتيسير الوصول ٣/ ٢٩٧. وابن عساكر ١٣/١/٥ أ - ب و١٦ أ.

(١٠) بصحيح الترمذي باب فضل فاطمة (١٣: ٢٤٨ و ٢٤٩)، وتهذيب التهذيب (٢: ٢٩٧) بترجمة الحسن، والرياض النضرة (٢: ٢٤٨) ذكر اختصاصه بأنه وزوجته وابنيه أهل البيت، وابن عساكر ١٤/١/٥ب.

(١١) بمسند أحمد (٦: ٢٩٢ و ٣٢٣).

(١٢) بمستدرك الحاكم (ج٢: ٤١٦) بتفسير الآية من سورة الاحزاب.

(١٣) بتفسير الآية من الدر المنثور (٥: ١٩٨)، وراجع مشكل الآثار (١: ٢٣٣)، وتيسير الوصول ٢٩٧/٣، وجامع الأصول ١٠٠/١٠، وابن عساكر ١٥/١/٥ب.

(١٤) بتفسير الآية من جامع البيان للطبري (٢٢:٧).

(١٥) بتفسير الآية من جامع البيان للطبري (٧/٢٢).

(١٦) تفسير الآية في الدر المنثور (٥: ١٩٩).

(١٧) تفسير الآية في الدر المنثور للسيوطي (٥: ١٩٩).

(١٨) تفسير الطبري (٢٢: ٥)، وذخائر العقبى للمحب الطبري (ص: ٢٤)، وتفسير السيوطي (٥: ١٩٨)، وابن عساكر ١٦/١/٥ أ، وأسباب النزول للنيسابوري.

(١٩) مشكل الآثار (١: ٣٣٢).

(٢٠) صحيح مسلم باب فضائل علي بن أبي طالب (٧: ١٣٣).

(٢١) مجمع الزوائد للهيثمي (٩: ١٦٥ و ١٦٧) باب فضائل أهل البيت، وابن عساكر ٥/١/١٦ أ.

(٢٢) تفسير الآية عند الطبري (٢٢:٥)، والدر المنثور (٥:١٩٩).

(٢٣) تفسير الآية عند الطبري (٢٢:٥).

(٢٤) مجمع الزوائد (٩:١٦٩).

(٢٥) بتفسير الآية في الدر المنثور (٥:١٩٩).

(٢٦) مستدرك الصحيحين (٣: ١٥٨)، وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، واسد الغابة (٥: ٥٢١)، ومسند أحمد (٣: ٢٥٨)، وتفسير الآية بتفسير الطبري (٢٢: ٥)، وابن كثير (٣: ٤٨٣)، والدر المنثور للسيوطي (٥: ١٩٩)، وفي مسند الطيالسي (٨: ٢٧٤): شهرا، وصحيح الترمذي (١٢: ٨٥) بتفسير الآية في سورة الاحزاب. وراجع كنز العمال ط: الاولى (٧: ١٠٣)، وجامع الأصول ١٠/ ١٠١ الحديث ٦٦٩١، وتيسير الوصول ٣/ ٢٩٧.

(٢٧) روايات أبي الحمراء في الاستيعاب (٢: ٥٩٨)، وترجمته من الاستيعاب (٥: ٦٣٧)، وتفسير الطبري وابن كثير والسيوطي بتفسير الآية، وترجمة أبي الحمراء بأسد الغابة (٥: ١٧٤)، ومجمع الزوائد (٩: ١٢١ و ١٦٨)، ومشكل الآثار (١: ٣٣٨).

(٢٨) مجمع الزوائد (٩: ١٦٩). وتفسير السيوطي (٥: ١٩٩).

(٢٩) مستدرك الحاكم باب من فضائل الحسن بن علي (٣: ١٧٢).

(٣٠) مجمع الزوائد باب فضائل أهل البيت (٩: ١٧٢)، وتفسير الآية عند ابن كثير (٣: ٤٨٦).

(٣١) مشكل الآثار (١: ٣٣٦).

(٣٢) خصائص النسائي (ص: ٤).

(٣٣) تفسير الطبري (٢٢: ٧)، وابن كثير (٣: ٤٨٥)، واللفظ للاول، ومستدرك

الحاكم (٣: ١٤٧)، ومشكل الآثار (١: ٣٣٦).

(٣٣) تاريخ الطبري (٣١/٥).

(٣٤) الحديث بطوله في مسند أحمد (١: ٣٣١) ط: الأولى والثانية (٥: ٣٠٦٢)، وقد ذكر فيه ابن عباس عشر فضائل لعلي بن أبي طالب، وأورده النسائي في خصائصه (ص: ١١)، والمحب الطبري في الرياض النضرة (٢: ٢٦٩)، ومجمع الزوائد للهيثمي (٩: ١١٩).

(٣٥) مشكل الآثار للطحاوي (١: ٣٤٦)، وتفسير الآية عند الطبري (٢٢: ٦)، ومسند أحمد (١٠٧/٤)، وقد هذب لفظه وحذف منه (فشتموه) و (وهذا الذي شتموه)، ومجمع الزوائد (٩: ١٦٧)، ومستدرك الحاكم (٢: ٤١٦ و ٣: ١٤٧)، وسنن البيهقي (٢: ١٥٢)، وتفسير ابن كثير ٤٨٤/٣، وابن عساكر ١٦/١/٥ أ.

(٣٦) أسد الغابة (٢: ٢٠) بترجمة الحسن.

(٣٧) أوردناه بإيجاز والحديث بطوله في مسند أحمد (٦: ٢٩٨) بمسند أم سلمة، وتفسير الطبري (٢٢: ٦)، ومشكل الآثار (١: ٣٣٥)، وابن عساكر ١٤/١/٥ أ.

(٣٨) تفسير الطبري (٢٢: ٧)، وابن كثير (٣: ٤٨٦)، والدر المنثور (٥: ١٩٩).

(٣٩) مقتل الخوارزمي (٢: ٦١) ط: النجف.

المصادر والمؤلفون
(حسب التسلسل الزمني)

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ مسند الطيالسي ـ لابي سليمان بن داود الطيالسي (ت: ٢٠٤هـ) ط حيدر آباد ١٣٢١هـ.

٣ـ مسند أحمد ـ لابي عبدالله محمّد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ) ط القاهرة سنة ١٣١٣هـ.

٤ـ صحيح مسلم ـ لابي الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ) القاهرة ١٣٣٤هـ.

٥ـ سنن الترمذي ـ لمحمد بن عيسى (ت: ٢٧٩هـ) ط القاهرة (١٣٥٠ ـ ١٣٥٢هـ).

٦ـ خصائص امير المؤمنين ـ لابي عبدالرحمن، احمد بن شعيب، النسائي، (ت: ٣٠٣هـ) ط النجف ١٣٦٩هـ.

٧ـ جامع البيان في تفسير القرآن ـ لابي جعفر محمّد بن جرير، الطبري (ت: ٣١٠هـ) ط، بولاق، ١٣٢٣ ـ ١٣٢٩هـ.

٨ـ تاريخ الامم والملوك ـ له الطبعة المصرية الاولى ـ المطبعة الحسينية (لات).

٩ـ مشكل الآثار ـ لابي جعفر، أحمد بن محمّد الطحاوي الحنفي (ت: ٣٢١هـ) ط، حيدر آباد ١٣٣٣هـ.

١٠ـ المستدرك على الصحيحين ـ لابي عبدالله، محمّد بن عبدالله، الحاكم

(ت: ٤٠٥هـ) حيدر آباد ١٣٣٤هـ.

١١ـ السنن الكبرى ـ لابي بكر أحمد بن الحسين، البيهقي الشافعي (ت: ٤٥٨هـ) ط، حيدر آباد ١٣٤٦ ـ ١٣٥٤هـ.

١٢ـ تاريخ بغداد ـ للخطيب البغدادي احمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٢هـ) ط. القاهرة ١٣٤٩هـ.

١٣ـ الاستيعاب ـ لابي عمرو يوسف بن عبدالله الاشعري (ت: ٤٦٣هـ) ط ر٢ حيدر آباد ١٣٣٦هـ.

١٤ـ مفردات القرآن لابي القاسم، الحسين بن محمّد، الراغب الاصفهاني (ت: ٥٠٢هـ) ط القاهرة ١٣٢٤هـ.

١٥ـ مقتل الخوارزمي، لابي المؤيد، الموفق بن أحمد، اخطب خوارزم الخوارزمي (ت: ٥٦٨هـ) طبعة النجف.

١٦ـ أسد الغابة ـ لابن الاثير، علي بن محمّد الشيباني (ت: ٦٣٠هـ) ط. القاهرة ١٢٨٠هـ.

١٧ـ الكامل في التاريخ ـ له القاهرة ١٣٤٨ ـ ١٣٥٤هـ.

١٨ـ الجامع لاحكام القرآن ـ لابي عبدالله محمّد بن أحمد القرطبي (ت: ٦٧١هـ) القاهرة ١٣٨٧هـ.

١٩ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ـ لابي جعفر احمد بن عبدالله، محب الدين الطبري شيخ الشافعية (ت: ٦٩٤هـ) ط/ القاهرة ١٣٥٦ وابن عساكر ١٥/١/٥ أ.

٢٠ـ الرياض النضرة ـ له، ط ر٢،القاهرة ١٣٧٢هـ.

٢١ـ تفسير القرآن العظيم ـ لابي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الشافعي (ت: ٧٧٤هـ) ط، القاهرة (لات).

٢٢ـ مجمع الزوائد لابي الحسن بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) ط/٢ بيروت ١٩٦٧م.

٢٣ـ الاصابة في معرفة الصحابة: لابي الفضل، احمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر (ت: ٨٥٢هـ) ط، القاهرة ١٣٥٨هـ.

٢٤ـ تهذيب التهذيب ـ له، ط ر١، القاهره (١٣٢٥ ـ ١٣٢٧هـ).

٢٥ـ تقريب التهذيب ـ له، ط/١ القاهرة ١٣٨٠هـ.

٢٦ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور لأبي بكر، عبدالرحمن بن محمّد جلال الدين السيوطي الشافعي (ت: ٩١١هـ) ط، القاهرة، ١٣١٤هـ.

٢٧ـ كنز العمال في سنن الاقوال والافعال لعلاء الدين، علي بن عبدالملك المتقي المعروف بالهندي (ت: ٩٥٧هـ) حيدر آباد، ١٣٦٤هـ.

٢٨ـ المختصر في علم رجال الاثر ـ لعبدالوهاب عبداللطيف ط ر٣ القاهرة ١٣٧١هـ.

٢٩ـ احاديث ام المؤمنين عائشة ـ للسيد العسكري ط، طهران ١٣٨٠هـ.

نجز طبعه في ربيع الثاني سنة ١٣٩٥هـ.

المستدرك على المصادر

٣٠ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ت: ٥٧١ هـ مصورة المجمع العلمي الاسلامي من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق.

٣١ـ جامع الأصول لابن الأثير (ت: ٦٠٦ هـ) ط/ القاهرة ١٣٦٨هـ.

٣٢ـ تفسير الثعالبي لابن زيد عبدالرحمن بن محمد الثعالبي (ت: ٨٧٥ هـ) ط/ الجزائر، ١٣٢٧هـ.

٣٣ـ تيسير الوصول لابن الديبع (ت: ٩٤٤) ط/ مصر، ١٣٤٦هـ.

الفهـــرس



٣٩



المجمع العالمي لأهل البيت

الجمهورية الاسلامية في ايران ـ قم

ص.ب ٨٣٧ / ٣٧١٨٥

هاتف: ٧٤٠٧٧١ فاكس: ٧٣٥١٧٩

THE AHL UL BAIT (AS)
WORLD ASSEMBLY
GHOM ISLAMIC REP. OF IRAN
P.O. BOX 37185 / 837
Tel: 740771 Fax: 735179